خلاصة السيرة المحمدية

وخلفائه الاربعة ذوى الهمم العليه

تأليف

الشيخ عطيه محمد البشارى

مدرس عربى بالمدرسة السنيه

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

هذه هى الطبعة الرابعة وقد تداركت مافرط فى سابقاتها مع ضبط كثير مما يشتبه على الطلبة وزيادة بعض أشياء لازمة

طبع بالمطبعة الحسينية المصريه سنة ١٣٢٩ ـ ١٩١١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى هدانا للاسلام والايمان * والصلاة والسلام على سيدنا محمد المصطفى من ولد عدنان (أما بعد) فلما كانت سيرة سيد الأنام * عليه أفضل الصلاة والسلام * وسيرة خلفائه الراشدين * رضوان الله عليهم أجمعين * أهمّ درس لتثقيف العقول ، وتهذيب النفوس * وكان تلقينها للاطفال فى بدء نشأتهم وإبّان شبيبتهم * مما يزرع فى قلوبهم محبة سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ويكون واسطة في تهذيبهم وتقويم أوَدهم بما يعرفونه فيها من الصفات الفاضلة والاخلاق الكاملة التى كان عليها حضرة المصطفى عليه الصلاة والسلام * قررت نظارة المعارف المصرية تدريسها بالمكاتب * وتعليمَ الناشئين تلك الاخلاقَ والمشارب * بيدأن حالة كثير من المعلمين بها لا تسمح

لهم بالوصول الى استنباط هذه السير للاطالة في كتبها وكثرة تشعب أقوالها ، فلذا رأيت من الواجب عمله والمحتم سلوكه تسهيلا للوصول الى المطلوب أن أجهد النفس فى جمع ماتشتت من هذه السير * واختصار ماطال من تلك الكتب * واستخراج اللُّبِّ منها مع الاعتناء بسهولة العبارة والتنبيه على مايلزم الأخذ به والاقتداء بمثاله * فجمعت من سيرة سيد المرسلين مارأيته يناسب أذواق الناشئين ويوافق مشاربهم * وأردفته بملخص سيرة الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين . ثم بجملة من أحاديثه صلى الله عليه وسلم ملائمة للمبتدئين فى أول أمرهم ومنتهى حالهم فجاء هـذا العمل رسالة مختصرة قريبة التناول * وسميتها (خلاصة السير المحمدية وخلفائه الاربعة ذوى الهمم العليـه) راجياً من الله أن ينفع بها الشبان والأطفال بجاه النبي وصحبه والآل

عطيه محمد البشارى

﴿ مقدمة ﴾

إعلم يابُنَيَّ أن الاسلامَ هو الانقيادُ والطاعة والعملُ بما جاء به رسولُنا محمدٌ صلى الله عليه وسلم من الأحكام والارشاد والنصائح، وأنه بُنِيَ على خمس قواعدَ * شهادةِ أن لااله الا الله وأن محمداً رسولُ الله * واقام الصلاة * وإيتاء الزكاة * وصوم رمضانَ * وحجِّ البيتِ على كل من استطاع اليه سبيلا

فمعنى شهادة أنْ لااله الا الله الاعترافُ والاقرارُ بوحدانية الله المعبود بحقٍّ الخالق لكل شيء مع اعتقادِ وُجوبِ اتّصافه بكل كمال وتنزيهه عن كل نقص * ومعنى شهادةِ أن محمداً رسولُ الله الاذعانُ والتصديقُ برسالته وبكل ماجاء به مع اعتقادِ وُجوب اتّصافه بالصِّدق والأمانةِ والفطانة وغير ذلك من الصفات الكاملة

واعلم أن الرسولَ انسانٌ أرسله الله بشرع (حكمٍ وأحكام ونصائح) يعملُ به ويعلّمه الناسَ ليتّبعوه ويهتدُوا بهديه * ولا يُرسلُ اللهُ بذلك الا مَنْ عظَّمه وفضَّله * واصطفاه وكمّله

والرُّسلُ كثيرون ، منهم آدمُ ونُوحٌ وادريسُ وابراهيمُ ومُوسى وعيسى وخاتمهم رسولُنا محمدٌ الذي أرسله اللهُ

بشريعة الاسلام، وفضّله على جميع الأنام، فيجب علينا اتّباعُه والعملُ بكل ماجاء به

واذ من الواجب معرفةُ اسمه ونَسبه ومحلّ ولادته وهجرته وباقي سيرته ليكونَ الانسانُ على بيّنةٍ من أمره فلنبيّنْ ذلك بغاية الاختصار

﴿ اسمه عليه الصلاة والسلام ﴾

أسماؤه كثيرة أشهرُها محمدٌ * احمدُ * مصطفي * طه * يس * أبو القاسم

﴿نسبه من جهة أبيه﴾

نبينا العربيُّ القُرَشي الهاشمي أكرمُ العرب نسباً وأشرفهم حسباً، هو محمدُ بنُ عبد الله * بنِ عبد المطلب * بنِ هاشم بنِ عبد مناف * بنِ قُصَيّ * بنِ حكيم * بنِ مُرّة * بنِ كَعْب * بنِ لُؤَيّ * بنِ غالب * بن فهر * بنِ مالك * بنِ النَّضْر * بنِ كِنانة ابنِ خُزَيمة * بنِ مُدْرِكة * بنِ إلياس * بنِ مُضَر * بنِ نِزار * ابنِ معدّ * بنِ عَدْنان * ويتّصل نسبُ عَدنان هذا بسيدنا اسماعيلَ ابن سيدنا ابراهيم عليهما الصلاة والسلام [1]

(١) قد نظم بعضهم الجميع فقال

نبينا محمد قد ينتسب * قطعا لعبد الله عبد المطلب

﴿نسبه من جهة أمه﴾

أمُّه آمنةُ بنتُ وهب * بن عبدِ مَنَافٍ * بن زُهرة * بن حكيم، الذى هو الجدُّ الخامس للنبى عليه الصلاة والسلام

﴿حمله ووفاة أبيه ومحل ولادته﴾

حملَت به أمُّه فى أوّل رجب، وبعد شهرين من حمله تُوُفِّي أبوه فى المدينة عند أخواله بَنى النَّجّار وعمره ١٨ سنةً، ولما تمت أشهرُ حمله وُلد بمكة المكرَّمة فى ثانى عشر ربيعٍ الاول من عام الفيل سنة ٥٧١ ميلادية أى العام الذى حبَس الله فيه الفيل عن دخول مكة لهدم الكعبة كما كان يقصدُ أبرَهةُ قائدُ جيش النجاشي فدمَّرهم الله أشنع تَدْمير وجعلَ كيدَهم في تضليل اكراماً لولادته عليه الصلاة والسلام * وقد ذكر الله القصة فى القرآن الكريم (ألم ترَ كيف فعلَ ربُّكَ بأصحاب الفيل) السورة

وقد دلت الرواياتُ على اتّصافه حينَ الولادة بصفاتٍ

فهاشم عبد مناف فقصىّ * كذا حكيم مرة كعب لؤىّ
فغالب فهر فمالك يلى * نضر كنانة خزيمة انقل
مدركة الياس أيضا فضر * نزارهم معدّ عدنان انحصر

تليقُ بمقامه السامى اذ وُلد نظيفا مذهونا مكحولا يعلوه النورُ والبهاء، رافعاً رأسه رامقاً بطرفه الى السماء * وفى ليلتها شاهد الكثيرون من الآيات الباهرات مايدُل على شرفه وعِظَم قدره مثل تنكيس [١] الأصنام وارتجاج الإيوان [٢] وخمُود نار فارس [٣] التى كانوا يعبدونها، الى غير ذلك من العجائب

(رضاعه وفطامه ومرضعاته)

أرضعته أمه نحو ثلاثة أيام ثم ثُوَيبةُ مولاةُ عمّه أبى لَهَب أياماً ثم حليمةُ السعديةُ التى اختارها جدُّه عبدُ المطلب مُرضعةً له وهى من قبيلة هوازن المشهورة فى العرب بالعَراقة وكمال الشرف فأخذته ورجعتْ به الى قبيلتها وبقى عندها الى الفِطام وبعده بسنتين أيضا . وكم شاهدتْ في تلك المدّة من الخيرات التى فاضت عليها وعلى قومها ببركته كما هو مشهور

حضانته وكفالته ووفاة أُمه وجده

(١) انقلابها على وجهها (٢) اهتزاز القصر الهائل الذى كان لكسرى حتى انشق سقفه وسقط من زينته أجزاء (٣) انطفاء النار التى كانت أمة الفرس تعبدها وكان لها ألف عام لم تخمد

ولما بلغ أربع سنين قامت والدته بحضانته ومعها أم أيمن [١] وقام جده بكفالته خير قيام فكان يحنو عليه أكثر من أولاده لما رأى عليه من علامات النجابة والمجد

ثم لما بلغ ست سنين ذهبت به أمه وأم أيمن الى المدينة لزيارة أخوال أبيه فمكثت عندهم نحو شهر وبينما هي عائدة اذ توفيت بالأبواء [٢] على المشهور فأوصلته أم أيمن الى جده بمكة ثم توأت وحدها الحضانة ولذا كان عليه الصلاة والسلام يقول لها (أنت أمي بعد أمي)

ثم لما بلغ ثمان سنين توفي جده عبد المطلب فقام عمه أبو طالب بكفالته واعتنى به اعتناء كبيراً حتى قدمه على أولاده في كل شئ عملاً بوصية أبيه عبد المطلب له حيث قال فيها

أوصي أباطالب بعدي بذي رحم * محمد وهو بين الناس محمود
فاحذر عليه شرار الناس كلهم * والحاسدين فان الخير محسود

ولأنه رآه بعيداً عن كل شائبة نقص ولهو مما تميل اليه الاطفال عادة، وببركته أصبح عمه في سعة من العيش بعد أن كان في ضيق

(١) هي جارية ورثها عن أبيه تسمى بركة الحبشية (٢) قرية بين مكة والمدينة

﴿رحلته الأولى الى الشام، وحضوره حرب الفجار﴾

لما بلغ اثنتي عشرة سنةً خرج عليه الصلاة والسلام مع عمه فى تجارةٍ له الى الشام فعرفه هناك الراهبُ بحيرى بعلامات النُّبوة المذكورة فى الكتب المقدَّسة فقال سيكونُ لهذا الغلام شأنٌ عظيمٌ، وسيبعثه اللهُ رحمةً للعالمين

ولما بلغ نحو عشرين سنة حضر مع قُريش الحربَ المسماة بحرب الفِجار وكان يجمع السهامَ لا عمامه فيها ويَرْمى معهم فكلَّلَ الله عملَهم بالنصر على أعدائهم الذين انتهكوا اذ ذاك حُرُماتِ البيت المعظم عند جميع العرب

﴿رحلته الثانية الى الشام وزواجه بخديجة﴾

لما بلغ عليه الصلاة والسلام خمساً وعشرين سنةً سافر الى الشام فى تجارةٍ لخديجةَ بنت خُوَيلدٍ ومعه ميسَرَةُ غلامُها فعرفه الراهبُ نَسطُورَى وقال هذا آخرُ النبيين ليتنى أُدرِكُه حين يؤمر بالخروج * ثم حضرُوا سُوقَ بُصْرى [1] وباعوا واشتَرَوْا فربحُوا ضعف ما كانوا يربحون * فلما عادُوا ورأت

(١) بصرى بلد على الحدود بين الشام والعرب وهى غير البصرة المشهورة

خديجةُ ربحَها العظيمَ وعرفت أمانَته وصِدقَه وشاهدت بعضَ علامات النبوّة وأخبرَها غلامُها بكلام الراهب وبما رآه بنفسه بَعثَها ذلك الى الرغبة في التزوُّج به وهى من أعاظم قريش نسباً وحسبا وأكثرهم مالا وثَرْوَة وكم عظيمٍ خطبها وبذلَ لها الاموالَ الطائلة فأبَتْ لكن لمّا خطبها أبو طالب (١) لمحمد أجابت لِما توسمته فيه من الخير والبركة فتزوّجها وهى بنتُ أربعين بعد زوجها أبى هالةَ المتوفّى عنها وعن ولدها هِنْدٍ الذى هو رَبيبُ المصطفى ولم يتزوّجْ غيرَها حتى تُوُفّيت

﴿من كلام الرهبان تعلم أن ماشاهدوه من صفاته طابق ماهو مذكور فى الكتب المقدسة حتى عرفوه بها﴾

﴿أمانته وفَطانته واحترام قومه له قبل بعثته﴾

(١) ملخص خطبة أبى طالب * الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وجعلنا حضنة بيته وسوّاس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا حكام الناس * ثم ان ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل شرفا ونُبلا وفضلا وان كان فى المال قُلّا فان المال ظل زائل وأمر حائل وعارية مستردّة وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وقد خطب اليكم رغبة فى كريمتكم خديجة وقد بذل لها من الصداق ما عاجله وآجله ست أواق من الذهب . وقيل . ٤٠٠ دينار

ولما بلغ خمساً وثلاثين سنةً وشرعت قريشٌ فى بناء الكعبة كان عليه الصلاة والسلام يَنقُل الحجارة من الجبل مع أشراف مكةَ وعند ماأرادوا وضعَ الحجر الأسودِ موضعَه اختلفوا وتنازعوا تنازعا شديداً كاد أن تكونَ عاقبتَه الحربُ لولا أن أبا أميَّةَ المخزُومي الذى كان أكبرَهم سنا قال لاتختلفوا وحَكِّموا بينكم مَن ترضَوْنه فاتفقوا على أوّل داخلٍ من باب بنى شيبةَ فاذا الداخلُ محمدٌ فاطمأنَّ الجميعُ له وقالوا هذا الامينُ وكلُّنا نرضى بقضائه، لأنه من حداثة سنِّه كان مشهوراً بينهم بالصفات الصالحةِ والاعمال السديدةِ من الحلم والصبر والعدلِ والزهدِ والحياء والصدقِ والعفافِ والأمانةِ حتى انهم لقَّبوه بالأمين

فلما أخبروه الخبرَ بَسَط رداءه ووضع الحجر فيه وقال لتأخُذْ كل قبيلة من طَرَف ففعلوا واحتملوه حتى اذا انتهَوْا الى موضعه أخذه عليه الصلاة والسلام ووضَعه بيده الشريفة

(حالة معيشته قبل النُّبوة)

نشأ في حال صِغَره يتيما فقيرا فكفَله جدُّه ثم عمُّه، ولما قوِى على العمل اشتغل بحرفة الانبياء قبله وهى رِعايةُ الغنم لأهل مكةَ

على بعض منها * ثم اشتغل بالتجارة مع عمّه ولما تزوّج خديجة عَمِل فى مالها فكانت معيشتُه كلها من كَسْب يده

﴿مما تقدم تعلم كيف كان تواضعه مع علو قدره العظيم وكيف كان احترامه بين قومه وشهرته من صغره بالصدق والأمانة ومهارته وسداد رأيه وحسن سياسته وقوة عقله وفكره وأعضائه وأخذه فى أسباب المعيشة واعتماده على نفسه من مبدإ صغره حتى لا يكون عالة على غيره﴾

كيفية الرسالة

لما بلغ عليه الصلاة والسلام أربعين سنةً بعثه اللهُ رسولا الى الخلق أجمعين ليُخرِجهم من الظلُمات الى النور وذلك أنه كان يتعبَّدُ فى غار حِراء [1] على دين ابراهيمَ عليه السلام وبينما هو معتكفٌ فيه يومَ الاثنين ١٧ شهر رمضانَ اذْ ظهرَ له المَلَكُ وقال يامحمدُ أبْشِر أنا جبريلُ وأنت رسولُ الله الى الخلق ثم قال له اقرَأ فقال ما أنا بقارئ (لأنه لم يتعلم القراءة) فضمَّه ثم قال له اقرأ فقال ماأنا بقارئ فضمَّه أيضاً ثم قال له اقرَأ باسمِ ربِّك الذى خلَق . خلَق الانسانَ من علَقٍ . اقرأ وربُّك الأكرَمُ الذى علَّم بالقَلم . علَّمَ الانسانَ مالم يعلم: فقرأها

(١) حراء جبل قريب من مكة

وهذا أوّلُ ما نزل من القرآن الكريم على هذا النبي العظيم ثم رجع الى خديجةَ يَرْجُفُ فؤادُه من الخوف وقال زَمِّلُونى زملونى [١] فزمّلوه حتى ذهب عنه الخوفُ ثم أخبرَ خديجةَ بما جرَى وقال لقد خَشيتُ على نفسى [٢] فقالت كلاَّ والله لا يخزيك الله أبداً انك لتَصِلُ الرَّحِمَ وتحملُ الكَلَّ وتكسبُ المعدومَ وتقرى الضيفَ وتُعينُ على نوائب الحقِّ *ثم انطلقت به الى وَرَقةَ ابن نَوْفل لأنه كان أعلمَ العرب اذ ذاك بما فى الكتب العبرانية فأخبراه الخبرَ فقال وَرَقةُ هذا الناموس [٣] الذى أُنزِل على موسى ليتنى أكون حيًّا اذ يُخرجك قومُك فقال النبى أوَ مُخرِجيَّ هم . قال وَرَقةُ نعم لم يأتِ أحدٌ قط بمثل ماجئتَ به الا عُودِيَ وإن يُدْرِكْنى يومك أنصرْك نصرا مؤزّراً (شديدا) ثم احتبس عنه الوحى مدّة ثم نزَل بقوله تعالى (يا أيُّها

---

(١) أى لفونى فى ثوب (٢) أى خفت على نفسى أن لا أقوى على هذا الامر ولا أطيقه (كلا) أى لا تقل هذا القول (الكل) العاجز الذى لا يقدر أن يقوم بمصالح نفسه (تكسب المعدوم) أى تعطى الناس الشئ المعدوم الذى لا يجدونه عند غيرك (تقرى الضيف) أى تهيئ للضيف الطعام (نوائب الحق) أى النوائب الحقة أو التى من الحق جل وعلا والمعنى انك تعين على دفع الحوادث الواقعة من الحق (٣) الناموس الوحى أى جبريل

المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر) (١) فقام عليه السلام يدعو قريشاً الى عبادة ربه ويرشدهم الى النور الذى جاء به فأجاب دعوته ذوو العقول السليمة وبادروا بتصديقه

(أول المؤمنين به ودعوته للناس سراً ثم جهرا)

كان أول من سطع نور الاسلام على قلبه خديجة وعلى بن أبى طالب وزيد بن حارثة وأبو بكر الصديق الذى أخذ يدعو للاسلام من يثق بهم من قريش فأسلم عثمان بن عفان وابن العوام وأبو عبيدة وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم من أشراف مكة * ثم مكث الرسول يدعو سراً حتى نزل قوله تعالى (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) وقوله (وأنذر عشيرتك الأقربين) وقوله (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً) فجهر بالدعوة ونادى قروع قريش فاجتمعوا اليه فقال (أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى قالوا نعم ما جربنا عليك كذباً فقال إنى نذير

(١) معنى الآية يا أيها المتلفف بالثوب قم خوف الناس من عبادة غير الله وعظمه ونظف ثيابك واترك أسباب القذر والعذاب ولا تعط شيأ وتستكثره واصبر على الاذى

لكم بين يدَيْ عذابٍ شديدٍ وانى رسولُ الله اليكم خاصةً والى الناس كافةً) فقال أبولهب تبا لك ألهذا جمعتنا وهزأ به فأنزل الله تعالى (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) الى آخر السورة

تحمله إيذاء قومه وحماية عمه له

ثم أخذت قريشٌ تسخر منه وتؤذيه وتضيّقُ عليه وهو مع قلّة رجاله وماله لايصدُّه عن الدعوة الى الاسلام شيء وكان عمه أبوطالب يُدافعُ عنه ويحميه من غوائلهم ويميل الى ماجاء به من الدين ولم يمنعه من اظهار الاسلام الا الحياء من قومه ولذا قال

ولقد علمتُ بأن دينَ محمد ... من خيرِ أديانِ البريّةِ دينا
لولا الملامةُ أو حذاري سبّةً ... لوجدتني سمحاً بذاك مبينا
والله لن يَصِلوا اليك بجمعهم ... حتى أُوسَّدَ في التراب دَفينا

ثم ازداد الحقدُ والعداء حين أسلم عمّه حمزةُ وعُمرُ بن الخطاب وكانا من أشد المعارضين له فعزَّ الله بهما الاسلامَ وحمى بهما رسوله عليه الصلاة والسلام فاغتاظت قريشٌ وصارت تعذّبُ كلَّ من اتبعه بأنواع العذاب

الهجرة الى الحبشة

ولما اشتدَّ إيذاء الكفّارِ لأصحابه أذن لكل من ليس له

عشيرة تحميه بالمهاجرة الى الحبشة فهاجر اليها من هاجر ومنهم سيدنا عثمان وزوجته رقية بنت الرسول (وهذه أول هجرة وقعت في الاسلام بعد الرسالة بخمس سنين) وكان ممن هاجر الى الحبشة أيضا في المرة الثانية جعفر بن أبي طالب

﴿وفاة ابي طالب وخديجة وخروج الرسول الى الطائف﴾

ولما بلغ خمسين سنة توفي عمه ابو طالب وبعده بقليل توفيت خديجة فقويت شوكة قريش واشتد العداء وازداد الايذاء ومع ذلك كان عليه السلام يلاطفهم ويستميل قلوبهم طمعا في هدايتهم فلم يزدادوا الا طغيانا وعنادا فخرج من مكة ومعه غلامه زيد بن حارثة الى الطائف مستنجداً بأهلها لأن له بهم قرابة فعرض عليهم الاسلام وطلب منهم نصرته فلم يجيبوا بل أخرجوه وسلطوا عليه الغلمان والسفهاء يؤذونه ويرمونه بالحجارة حتى أدموا وجهه وشجوا رأسه مع أن زيدا كان يدفع عنه ويقيه بنفسه ، فلما وصل الى شجرة هناك قعد يستظل تحتها فرآه ابنا ربيعة على تلك الحالة وهما في بستانهما فرقا له مع أنهما كانا من ألد أعدائه وأرسلا له قطفا من عنب مع غلام لهما فلما شرع يأكل منه قال (بسم

الله الرحمنِ الرحيمِ)فقال الغلامُ هذا الكلامُ مايقولُه أهلُ هذه الجهةِ فقال النبيُّ من أيِّ البلادِ أنت وما دِينك فقال نصرانيٌّ من نِينَوَى (١) فقال عليه السلام قَرْيةُ الرجلِ الصالحِ يونُسَ ابنِ متَّى فقال الغلامُ ومن أعلمك بيونُسَ بن متَّي فقال النبيُّ ذاك أخي ونبيٌّ مثلي ثم قرأ الآياتِ التى فيها قصةُ يونس (في الصافَّات) فاسمع الغلامُ القرآنَ الا وأسلم، ثم نزل جبريلُ وقال يامحمدُ ان الله أمرنى أن أطيعك فيما تأمر به في قومك لما صنعوه معك فقال عليه السلام أرجو أن يُخرِجَ اللهُ من أصلابهم مَن يَعبدُ الله اللهم اهدِ قومى فانهم لايعلمون ،فقال جبريلُ صَدَق من سمَّاك الرؤفَ الرحيمَ

(من هنا تعلم كيف كانت درجة أخلاقه الفاضلة وشمائله الفائقة وحرصه على هداية قومه ورحمته بهم وشفقته عليهم مع شدة ايذائهم له وقوة تحمله الاذى وصبره على المكاره وصفحه عنهم مع القدرة

ثم دخل مكةَ ثانياً وصارَ يدعُو بما أمره به ربُّه غيرَ مُكترِثٍ بتهديدِ قُريشٍ وسعيِهم فى إبطال مَسعاه (وَيأبَى الله الا أنْ يُتِمَّ نُورَه)

(١) بلد فى حدود العراق

(الاسراء والمعراج وفرض الصلوات الخمس)

ولما بلغ الرسولُ اثنتين وخمسين سنةً أُسْرِيَ به ليلةَ السابع والعشرين من رجب من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى (بيت المقدس) وصلَّى فيه بالانبياء وعُرِج به (صعد) الى السموات العُلَى فرأي مارأى من آيات ربّه الكبرى وفُرِض عليه وعلى أمته خمسُ صلواتٍ في اليوم والليلة ثم رَجَع من ليلته وأصبح يخبرُ قومه بما رأي وشاهدَ فصدَّقه بعضُ الناس وكذبه آخرُون فأيَّده الله بالمعجزات التى طَلَبوها منه * منها وصفُهُ بيتَ المقدس على ما كان عليه وَصفاً حقيقياً مع أنه لم يَرَه من قبلُ * ومنها إخبارُه عن حالة العيرِ [1] التى كانت لهم بالشام وعن عَدَد إبلِها وقال لهم ستَقْدُم عليكم مع غُروبِ شمسِ يوم كذا يَقْدُمُها جملٌ أوْرَقُ [2] فظلُّوا ينتظرونها حتى جاءت كما وَصَف فلم يَزْدادوا الا كُفْرا وعناداً وقالوا هذا سِحْرٌ مُبِين

﴿بالاسراء والمعراج أكمل الله لرسوله الشرف على جميع أهل السموات والارض وبلغ غاية الكمالات وارتقى أسمى الدرجات﴾

﴿١﴾ العير الابل التى تحمل التجارة ﴿٢﴾ لون بين البياض والسواد

﴿عرضه نفسه على القبائل فى المواسم وبيعتا العقبة[١]﴾

لما رأى عليه الصلاة والسلام استمرارَ قريش على عدم الاجابة لدعوته والاهتداء بهديه وعلى التمادى فى ايذائه قام يعرضُ نفسه على قبائل العرب فى المَواسم فمنهم من نأى وأعرض ومنهم من أجاب الدَّعوة كرؤساء العرب من أهل يثرب (المدينة) الذين أسلموا وبايعوه على النُّصرة والاعانة وذلك عند العقبة بمِنى (وهى بيعة العقبة الاولى) ثم لما رجعوا الى بلدهم أخبروا قومهم به فصدَّقوا وآمنوا وشاع خبرُ الرسول فيما بينهم ثم بعثوا له بان يُرسل لهم من يُعلِّمهم دِينهم فأرسل مُصعبَ بن عُمير رضى الله عنه وأمره بان يُعلمهم الدِّينَ والقرآنَ فلم تمض مدّة حتى انتشرَ الاسلامُ فى المدينة

ولما جاء المَوْسم الثانى وَفَدَ منهم كثيرون للحجّ فاجتمعوا بالرَّسول وقالوا له خُذْ علينا من العُهود لنفسك ولربّك ما أحببتَ فاننا على الوفاء والصدق وبَذْل المُهج دُونك، فقال لهم أشترطُ لربى أن تعبدوه وحدَه ولا تُشركوا به شيئاً ولنفسى أن تمنعونى[٢]

(١) المرقى الصعب للجبل (٢) أى أن تحافظوا علىَّ كما تحافظون الخ

مما تمنعونَ منه نساءكم وأبناءكم متى قدمت عليكم فبايعوه على ماطلب فى مكان البيعة الاولى (وهذه بيعةُ العقبة الثانية)

(من هـذا تعلم مقـدار عنائه فى تبليغ الدعوة وفى هداية قومه وأن أهل المدينة هم أسبق الناس الى نشر الاسلام فى تلك الجهة)

(الهجرة الى المدينة المنوّرة)

لما بلغ عليه الصلاة والسلام ثلاثاً وخمسين سنةً وأخذ الاسلامُ ينمو فى بعض القبائل واشتدَّ ايذاء الكفار له ولاصحابه حتى رأى مالم يَرَه فى سابق حياته امرَه الله بالهجرة الى المدينة التى كان أسلم غالبُ أهلها فأذن للمسلمين بالمهاجرة اليها فهاجرَ خلقٌ كثيرون منهم سيدُنا عمرُ وأخوه زيدٌ وعمارُ بن ياسر وبلالٌ وسعدُ بن أبى وقاصٍ وعثمانُ بنُ عفانَ حتى لم يبقَ بمكةَ مع الرسولِ وأهلِ بيته الا القليلُ منهم سيدُنا علىُّ بنُ أبى طالب وأبو بكر الصديقُ . فلما أحسَّ كفارُ قريش بأن الرسولَ سيهاجر أيضا تآمَرُوا على قتله قبل أن يهاجر فأطلعه اللهُ على سرِّهم فاتفق مع أبى بكرٍ على أنْ يتجهزا للخروج ليلاً من مكةَ الى المدينة

كيفية الخروج من مكة وما جرى فيه

جهز سيدنا أبو بكر للسفر راحلتيه واشترى منه الرسولُ احداهما ثم أودعاهما عند رجلٍ استأجراه ليكون دليلهما الى المدينة ووعداه غار ثورٍ (١) بعد ثلاثِ ليالٍ، ثم اتفق النبيُّ مع ابى بكر على المقابلة ليلا خارجَ مكةَ وكانت تلك الليلةُ موعدَ تنفيذ قريش ماتآمروا عليه من قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا حولَ دار الرسولِ وترصدوا قتله وصاروا يُردِّدون النظرَ من شقوق الباب حتى اذا نام يدخلون عليه ليقتلوه، فلما أراد الخروجَ أمرَ سيدنا عليا بأن ينام مكانه فنام وتغطى ببُردته ليُخفيَ الأمرَ على القوم ثم تحصَّن الرسول بالله وخرج عليهم ناثراً التراب على رؤوسهم فلم يشعرْ به أحدٌ فقابله أبو بكر فى الموعد وسارا حتى وصلا الغارَ ليلاً وكمنا فيه، فلما همَّ القومُ بالقتل دخلوا البيت فوجدوا النائمَ علىَّ بنَ أبى طالب لا محمدَ بنَ عبدالله فاغتاظوا غيظاً شديداً وخرجوا مقتفين الاثرَ الى أن انقطع عند الغار فتحيَّروا فى أمرهم ولم يهتدوا حيثُ أعمى اللهُ بصرَهم عن النظرِ فى الغار

(١) جحر فى جبل بينه وبين مكة نحو ميلين

بنسج العنكبوت وتعشيش حمامتين على فمه فرجعوا خائبين وجعلوا مكافأة كبيرة لمن يدلُّ عليهما

ولما جاء الدليل بالراحلتين في الميعاد ركبا وسارا فلحق بهما سراقة بن مالك الذي طمع في أخذ المكافأة من قريش وأراد أن يتعرَّض لهما فغاصت يدا فرسه في الارض الصمَّاء فاستجار بالنبي فأجاره على أن يرجع فرجع ولكنه حدَّثته نفسه بالمكافأة فكرَّ عليهما ثانياً فغاصت قوائم الفرس الاربع الى الركبتين فطلب منهما الامان وتعهَّد بأن يردَّ عنهما جيش العدوان فعفا عنه الرسول واشار الى الفرس فنهضت فركبها ورجع كما جاء

(من هذه القصة تعلم مقدار حماية الله لرسوله وخيبة أعدائه ومحبة سيدنا على له حيث عرض نفسه لفدائه * وتعلم مقدار حلم الرسول على قومه وصبره على الاذى وحسن معاملته لطالب الغدر به حيث عفا عنه مع قدرته اذ ذاك على الانتقام منه * وتعلم أيضا مقدار صداقة أبي بكر وصحبته وعظيم محبته للرسول عليه السلام)

الوصول الى المدينة المنوّرة

ثم سار النبيُّ وصاحبه في أمان حتى قربا من المدينة بعد ستة أيام وكان أهلها ينتظرونه لعلمهم بقدومه فاذا بيهودي

يُنادى بأعلى صوته يامعشرَ العربِ هذا حظكم الذى تنتظرونه فتقلدوا أسلحتهم وتلقوا الرسولَ مُهلِّلين مكبِّرين فعدلَ بهم ذاتَ اليمين ونزل بقُباء [1] على بنى عَمرو بن عوف يوم الاثنين لاثنتَىْ عشرةَ ليلةً خلت من ربيع الاول وأسَّس مسجد قُباء الذى وصفه اللهُ بقوله (لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ على التَّقوَى . الآية) ثم تحوَّل بعد ليالٍ الى المدينة والانصارُ شاهرون السلاحَ مُحيطُون به احاطةَ الهالة بالقمر فما فَرِح أهلُ المدينة بشىء فَرَحهم برسول الله عليه الصلاة والسلام حتى انَّ البناتِ كُنَّ يُنشدْن أمامَ موكبه

طَلَعَ البدرُ علينا من ثَنِيَّاتِ [2] الوَداعْ
وجبَ الشكرُ علينا مادعا لله داعْ
أيُّها المبعُوثُ فينا جئت بالأمرِ المطاعْ

وكان كلُّ واحد منهم يَوَدُّ نُزولَ الرسول بفِنائه ويأخذ بزمام ناقته فقال لهم عليه الصلاةُ والسلام (خلُّوا عنها فانها مأمُورةٌ) فلما وَصلتْ الى فِناء بنى النجار أخوالِ أبيه بَرَكتْ

(١) موضع بجوار المدينة (٢) طرقات الجبل التى يودّع المسافر عندها

أمام دار أبي أيوبَ الانصاريِّ، فأخذ أهلُ المدينة في الترحيب بالرَّسول والمبالغة في اكرامه واكرام المُهاجرين ووازَرُوه ونصروه فسمُّوا بالانصار ومن وَفَدُوا عليهم بالمهاجرين

(ومثل ما تقدم من التكذيب والعداء والايذاء المؤدى الى الهجرة وقع لكثير من الانبياء مثل نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام)

(المؤاخاة بين الانصار والمهاجرين)

لمَّا استقرَّ بالرسول المُقامُ بالمدينة وبنى مسجدَه ودارَه قريباً من دار أبي أيوبَ الانصاري أخذ يُؤاخي بين المهاجرين والانصار حتى صار كلُّ واحد يُفَضِّل أخاه على نفسه فقَوِيَتْ بذلك عَصبيَّتُهم وهابَهم القريبُ والبعيدُ فعاش المهاجرُون معهم في هَناء وصفاء وأحبُّوا المدينةَ أكثرَ من محبَّتهم لوطنهم ببَرَكة دُعائه عليه الصلاة والسلام

(من هذا تعلم شدة تعلق أهل المدينة بالرسول وعظم محبتهم له ولاصحابه واعتنائه بالمهاجرين، وأن القوة والشوكة لا تكون الا بالاتحاد والتآلف وهذا هو السر في التآخي الذي عقده عليه السلام بين المهاجرين والانصار)

﴿ مبدأ التاريخ الاسلامي ﴾

لمَّا كان لهجرته عليه السلام وتَرْكه بلَدَه وعشيرته شأنٌ

عظيمٌ وبها ظهرَ الاسلامُ ظهورَ الشمس فى رابعة النهار بعد أن كان فى خفاء واستتار اختارَ سيدُنا عمرُ بنُ الخطاب فى أيام خلافته أن يكون عامُ الهجرة مبدأ للتاريخ الاسلامى

الجهاد فى سبيل الله

مكثَ الرسولُ ثلاث عشرة سنةً من مبعثه الى هجرته يدعو الناسَ الى الاسلام باللين والعُرف مبشّراً ونذيرا وصابرا على الأذى كما قال تعالى (يا أيُّها النبيُّ انا أرسلناك شاهداً ومبشّراً ونذيراً وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً منيراً وبشّر المؤمنين بأنَّ لهم منَ الله فضلاً كبيرا ولا تطع الكافرين والمنافقين ودَعْ أذاهم وتوكّلْ على الله وكفى بالله وكيلا)

ولما اشتدَّ طغيانُ أهلِ مكة حتى تآمرُوا على قتله وأخرجُوه من داره وتمادَوا فى العداء وأصرُّوا على العناد أمرَه اللهُ بالقتال فقام يغزُو ويجاهد في سبيل الله لإعلاء كلمة الدّين وهداية الناس الى الطريق القويم لا طمعاً في مُلك ولا رياسة ولا مال ولا عرَض من أعراض الدُّنيا ولذا قال عليه الصلاة والسلام (أُمرتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يقولوا لا اله الا

اللهُ فاذا قالُوها عَصَمُوا منّي دماءَهم وأموالَهم الا بحقّها وحسابُهم على الله) وغزا بنفسه سبعاً وعشرين غزوةً لم يبدأ فيها أحداً بالقتال بل كان لايقاتلُهم الا بعد الإنذار والتبشير فتبدُو منهم الغِلظةُ والجفاء وحميّةُ الجاهلية ولذا أيّده الله بالنّصر ونال منهم مالم ينَله أحدٌ قبله مع قلّة العَدَد والعُدد وكثرة الاعداء وقُوّتهم كما تعرف ذلك من الغزوات، ونُلخّصُ لك أشهرَها فنقول

الغزوات

(غزوة بدر (١) الكبرى)

لما علم أهل مكة بهجرة الرسول الى المدينة وماقوبل به فيها من الاجلال والاكبار كبر عليهم ذلك وأخذوا يصدّون عن البيت الحرام من أراده من المسلمين فأراد صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم مثل عملهم فخرج فى السنة الثانية من الهجرة ومعه ثلثمائة من أصحابه وقصدوا التعرض لعير قريش الواردة بالتجارة من الشام ليمنعوها من المرور بطريق المدينة كما منعت قريش المسلمين من دخول مكة فلما شعرَ بذلك أبو سفيان بنُ حرب الذى كان رئيسَ

(١) بئر فى واد بين مكة والمدينة على الطريق السلطانى وكان لها سوق تعقد كل سنة ثمانية أيام

تلك التجارة غير طريقه وأرسل من أخبر قريشا الخبر فأخذت الأهبة للقتال وخرجت فى ألف مقاتل حتى قربت من بدر ولم يعلم النبىُّ وأصحابُه بهم الا حينئذ فتشاوروا فى أمرهم ثم أجمعوا على المحاربة مع عدم استعدادهم لها وأخذوا يدبرون لنكاية الاعداء أمورا منها أنهم وقفوا على بئر هناك وردموا غيرها ليقطعوا طماعية قريش فى الشرب من وراء المسلمين . ومنها أنهم بنوا حوضا على هذه البئر وملؤها ماء كما انهم بنوا للرسول عريشاً من الجريد فوق تلّ عال . ثم لما أقبل الاعداء قال الرسول (اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها (١) وفخرها تحادُّك وتكذّبُ رسولك اللهم فنصرك الذى وعدتنى به) ثم قابلهم الرسولُ وأنذرهم وطلب منهم الاسلام فأبوا واستكبروا فعدّل صفوفه وقال لاتحملوا على أعدائكم حتى آمركم ثم دخل العريش الذى صنع له وابتهل الى الله وخرج وهو يقول (سيهزمُ الجمعُ ويولّون الدُّبُر) وأمر المسلمين بالقتال ووقف يحرّضهم على الثبات والصبر ويدعو الله بالنصر فاقتتل الفريقان قتالا شديدا

(١) أى بعجبها وعظمتها تجادلك

فلما رأى الرسولُ كثرةَ الكفارِ وغلبتهم أخذَ كفاً من تُراب ورماه فى وُجوه القوم وقال شاهتِ الوُجوهُ ثم قال لأصحابه شُدُّوا عليهم فشدُّوا وحمِيَ الوطيس (الحرب) وأيَّد الله المسلمين بالملائكة فلم تكن الا ساعةٌ حتى كانت الهزيمةُ ووَلَّت قريشٌ الأدبارَ فتبعهم المسلمون وقتلوا منْ قتلوا وأسرُوا من أسروا من صناديدهم وعُظمائهم وأشدّهم عداوةً للاسلام ومع ذلك لم يُستشهدْ من المسلمين الا أربعةَ عشرَ ثم امر النبيُّ بنقل قتلَى الاعداء الى قليب بدر فنُقلُوا ودُفنوا به عن آخرهم ثم أرسل منْ بشَّر اهلَ المدينةِ فقابلوه بالفرح والسرور

ولما أخذوا الأسرى معهم الى المدينة عاملُوهم بالحُسنى الى أن فدتهم قريشٌ بالاموال الطائلة ففكَّ الرسولُ رِقابهم وبذلك اكتسبوا من هذه الغزوة جاهاً عظيماً وأموالا وافرة ولذا كانت هذه الغزوةُ من أعظم الغزوات في بدء الاسلام حيث بها حلَّت هيبتُه في قلوب المشركين عامَّة حتى انه بعد وقوعها ظهر الاسلام ظهوراً بيِّناً وأشرق نورُه على غالب الآفاق

(١) أى بئرها

وفى هذه السنة فُرِض صومُ رمضان وحُوِّلت القبلةُ الى الكعبة بعدما لَبِث عليه السلامُ بالمدينة يُصلى الى بيت المقدس نحو ١٦ شهرا . وفيها أيضا شُرعت صلاةُ العيد وتزوَّجت فاطمة بنت الرسول بسيدنا عَلِيٍّ ودخل صلى الله عليه وسلم بعائشة بنت ابى بكر

(من هذا تعلم ان القتال لم يكن من مقاصد الرسول أوَّلا . وان العمل بتدبير يؤدى الى النجاح . وان بالثبات والصبر يكون الظفر ولو كثرت الاعداء وقويت عدتهم ولذلك قال تعالى (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) أى قليلو العدد

غزوة أُحُد (١)

فى السنة الثالثة كانت تلك الغَزْوة . وذلك أنَّ المشركين انصَرَفوا من بَدْرٍ على غَيظٍ مع انسداد طُرُق التِّجارة فى وُجوههم فأجمعوا أمرَهم على المحاربة ليأخُذُوا بِثَأْر مَنْ قُتِلوا فى الغزوة السابقة واستعَدُّوا بجيشٍ كبيرٍ من القبائل المجاورة لهم وخرجوا الى المدينة فلما قارَبوها ووَصَلت الأخبارُ الى الرسول استَشار أصحابَه فى الامر فتمَّت كلمتُهم على الخروج لمقابلتهم

(١) جبل بينه وبين المدينة نحو ميلين

خارجَ المدينة فخرجوا في نحو ألف مقاتل، ثم لما تقابلوا على جبل أحُدٍ صفَّ النبيُّ جيشه وأوقف الرُّماةَ وراءه وقال لهم لا تبرَحوا من مكانكم نُصرنا أو غُلبنا وبعد أن تبارز الفريقان حمَل المشركون مِراراً على المسلمين فلم يُفلحوا لأن الرُّماة كانوا يَرمونهم بالنَّبل فيتقهقرون ثم التقَى الصُّفوف واشتدَّت الحربُ فولَّى الاعداء الأدبار فتبعهم المسلمون يجمعون الغنائم وحينئذ نَسيَتْ الرُّماة أمرَ الرسول فتحوَّلوا عن أماكنهم فانكشف ظَهرُ المسلمين فانقضَّ عليهم الاعداء فانتقضَتْ صفوفُهم واختلطوا بالمشركين فتقهقَر غالبُ المسلمين واستُشهد نحوُ سبعين منهم حمزةُ بنُ عبد المطلب ومُصعب بن عُمير وحنظلةُ بن أبي عامر. وثبَت الرسول ومعه جماعة يُقاتلون دونه ويَتلقَّون النِّبال المُصوَّبة نحوه بصُدُورهم ونُحورهم وحينئذ أقبل أبيُّ بنُ خلَف قاصداً قتْل الرسول فاخذ عليه السلامُ الحربةَ ممَّن كانوا حوله وقال خلُّوا طريقه فضربه ضَربةً كانت سببَ هلاكه بعد انقضاء الحرب ولم يقتُل النبيُّ غيرَه طول حياته. وفي هذا الموقف شُجَّ وجهُه عليه السلام وسقطَت رَباعيتُه ومع ذلك لم يتحوَّل عن مكانه

حتى انهزم من أمامه . ثم تراجع المسلمون واصطفوا ووقفوا للاعداء فلما رأى [1] أبو سفيان ذلك وكان قائد الجيوش صعد الجبل وقال الحرب سجال يوم بيوم وموعدكم بدر العام المقبل ثم رجع بقومه ولم يدخل المدينة . وهذا يدل على عدم غلبتهم للمسلمين

(من هذا تعلم مقدار محبة الناس للنبي حيث جعلوا أنفسهم فداءله . وتعلم مقدار شجاعته وثباته وشهامته فى معامع القتال مع الحلم والصبر . وتعلم أن رأيه فى الحرب كان من أسد الآراء . وانه كان يعول فى أعماله على استشارة أصحابه . وأنه كان يباشر بنفسه مهام أموره . وان فى طاعة أمره الظفر لان مخالفته كانت السبب فى الانهزام أولا . فالقوم الثبات والطاعة للرئيس . وأن الاعمال تقرن بالنجاح متى كانت خالصة لوجه الله الكريم)

غزوة الخندق [2]

كانت هذه الغزوة في الخامسة من الهجرة وتسمى غزوة الأحزاب لأن قريشاً وغالب القبائل المجاورة لها تحالفوا

(١) أبو سفيان هو صخر بن حرب بن أمية كان من أشد الناس عداوة للرسول ومن رؤس أحزاب قريش عليه مع انه أبو زوجته أم حبيبة بعد أبى العاص بن الربيع وكان بطلا شديدا وفارسا صنديدا أسلم قبيل غزوة الفتح وتوفى سنة ٣١ هجرية وأما أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فهو ابن عم الرسول وكان من أشد أعدائه أيضا بعد النبوة وأما قبلها فكان من ألزم أصدقائه ثم أسلم يوم الفتح هو وابنه جعفر وحسن اسلامهما وتوفى سنة ٢٠ هـ

(٢) حفير حول أسوار المدينة يصد من أراد من الاعداء دخولها

وتحزّبوا على الحرب فجمعوا مايزيد عن عشرة آلاف تحت قيادة أبي سفيان وقصدوا المدينة فلما بلغ خبرُهم الرسولَ استشارَ أصحابَه فتمّ أمرُهم على البقاء فى المدينة وحفرِ الخندق فى الجهات المكشوفة منها كما أشار بذلك سلمانُ الفارسى فاشتغلوا في حفره وكان عليه الصلاة والسلام يشتغل معهم وينقل الترابَ على كتفه وينشد شعر ابن رَواحة

والله لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلّينا
فأنزلنْ سكينةً علينا وثبّتِ الأقدامَ ان لاقينا
والمشركون قد بغَوْا علينا وإن أرادوا فتنةً أبينا

ثم اجتمع جيشُ المسلمين ووقفوا بالجهة الشرقية وكان ثلاثة لاف مقاتل

ثم لما جاء العدُوُّ ورأى الخندق أمامه وَقف حائرا وصار يرمى المسلمين بالنبال عدة أيام لم يبلُغ فيها ماُرَبه ولم يقدِر على اقتحام (١) الخندق غير أنّ هذا الحصار ضيّق المعيشةَ على فقراء المدينة واشتدّ بهم الحالُ فأكثر الرسولُ من الابتهال بقوله

(١) الدخول والعبور منه الى المدينة

(اللهم منزل الكتاب سريع الحساب، اهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم) فأجاب الله دعوته وبعث من فتن تلك الجموع وخدعهم حتى فرّق بين قلوبهم وخاف بعضهم بعضاً وأرسل الله عليهم في ليلة حالكة ريحاً عاصفاً أكفأت قدورهم وقوّضت خيامهم فوقع الخوف في قلوبهم وخافوا أن يأخذهم المسلمون في تلك الليلة المظلمة فأجمعوا أمرهم على الرحيل قبل الصباح فانسلّوا في الظلام انسلالاً لا يُدرى به رحمةً من الله بالمسلمين حيث أزاح عنهم تلك الغُمّة التي تحزّبت فيها العربُ واليهودُ ولذا سمّاها الله في القرآن الكريم نعمةً فقال (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الأبصارُ وبلغت القلوبُ الحناجرَ) الى آخر الآيات

(من هذا تعلم مقدار لطف الله وكمال عنايته بهذا الدين القويم وبرسوله العظيم . وتعلم أن الخدعة في الحرب من أعظم أسباب النجاح . وأن بالصبر تهون الشدائد وتنفرج الكرب)

غزوة الحُدَيبية [١]

فى السادسة من الهجرة قَصدَ الرسولُ زيارَةَ البيتِ الحرام بمكةَ فخرج مُعتَمِراً فى ألفٍ وخَمسمائة فلما وصل الحُدَيبيَة منعَتْه قريشٌ من الدُّخول فشاور أصحابه في ذلك فأشاروا عليه بالقتال وبايعوه على ذلك (بيعة [٢] الرضوان) فلما علمت قريشٌ بذلك ورأت قوةَ المسلمين من المُناوَشات التى وقعت حينئذ وأسَرُوا فيها من أسَرُوا خافت وطلبت الصلحَ على شُروط . منها وَضعُ الحرْب اربعَ سنين . ومنها عدَمُ دخول الرسول مكةَ فى هذا العام ثم يَدْخلُها العامَ المُقبل وسلاحُهم فى غمده . فقبل الرسول الشُّروطَ وقفَلَ راجعاً بأصحابه بعد التَّحلُّل من العُمْرة بالنَّحر والحلْق وفى أثناء رُجُوعه نزلت عليه سورةُ الفتح (إنا فتحنا لك فتحاً مُبيناً الخ) وكانت هذه الغزوة فتحاً لأنها كانت سبباً لاسلام كثيرٍ من الكفار

ثم فى السنة السابعة أراد الرسولُ قضاء العُمْرةِ فأحرم بها من المدينة وخرجَ مع أصحابه سائقاً الهَدْىَ ستينَ بَدَنةً [٣] وسار

---

(١) موضع قريب من مكة (٢) سميت بذلك لنزول الآية فى حقها (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) والشجرة كانت سمرة (٣) الهدى ما يذبحه الحاج تقربا الى الله والبدنة اسم للناقة أو الجمل

حتى دَخلَ مكة على حسب الاتفاق وطاف بالبيت وسعى وكان أمامه عبدُ الله بن رَوَاحة يقول لا اله الا الله وحده صدَقَ وَعده ونَصر عبده وأعزَّ جُنده وهزَم الأحزابَ وحدَه. لا اله الا الله ولا نعبدُ الا اياه مُخلصين له الدِّينَ ولو كَرِه الكافرون . ثم رجع الى المدينة في أمان

وفى هذه السنة والتى قبلها أرسل كثيراً من السَّرَايا (١) الى رُؤساء القبائل فرَجع غالبُهم بالنَّصرِ والفوز * وكذا بَعث بكُتُبه الى غالب مُلوك الدُّوَل يَدعُوهم الى الاسلام فمنهم من أطاعَ وأجاب . ومنهم من حقَّتْ عليه كلمةُ العذاب

﴿مما تقدم تعلم حسن معاملة الرسول لقومه وكمال وفائه بالعهد وعظيم صبره وتأنيه فى كل الامور وقوة سياسته وفطانته وحرصه على سعادة أمته﴾

غزوة الفتح

فى الثامنة من الهجرة كانت غَزوةُ الفتح الأكبر وذلك أن قريشا نَقضُوا بعضاً من شروط صُلح الحُدَيبية فجهَّز الرسول

(١) السرايا جمع سرية وهى فرقة من خمسة أنفس الى ثلثمائة او أربعمائة

لغزوهم نحوَ عشرة آلاف وسار بهم فقابله فى الطريق بعضُ أشراف مكة مثلُ أبى سفيان بن حرْب وعبدِ الله بنِ أبى أميـة شقيقِ أمِّ سلَمة وكانا من أشدِّ الأعداء فعرَضَ الرسولُ على الجميع الاسلامَ فأسلموا وقال لهم عليه السلام (لا تثريبَ عليكمُ اليومَ يغفرُ اللهُ لكم وهو أرحم الراحمين)

ثم لما رأت قريش قوَّته خلَّوْا طريقَه حتى دخل مكة بلا حرْب وهو يقرأ سورة الفتح ثم أمر مناديا ينادى (من دَخَل البيتَ فهو آمنٌ ومن دَخل دارَ أبى سفيان فهو آمنٌ ومَنْ دَخل دارَ فُلانٍ ودار فلان فهو آمن) وذلك لتأليف قلوبهم * ثم طاف بالبيت سبْعاً وهرْوَل بين الصفا والمرْوة اظهاراً للقُوَّة. ثم أمر باخراج الاصنام من الكعبة فأُخرجتْ وكانت ٣٦٠ وجعل يطعنُها بعُودٍ فى يدِه ويقول (جاء الحقُّ وزَهقَ الباطلُ انَّ الباطلَ كان زَهُوقا) ثم بعد ماصلى في المقام وشَرِب من زمزَم جلس في المسجد والناسُ حوله ينتظرون مايفعل بكفار قُريش الذين آذَوْه وأخرَجوه من دِياره وقاتلوه

اذ كان في قُدرته حينئذ أن ينتقم منهم لكن حيث كان غضبُه ورضاه ليس الا لله وحده لم يقع منه عليه الصلاة والسلام ما يُسمَّى تشفِّيًا أو انتقاما بل قابلهم وهو في أعظم مظاهر القوَّة والعظمة بالحِلم والكرَم واللطف وعظيم الاحسان حيث قال (يامعشرَ قُريش ماتظنُّون أنِّي فاعلٌ بكم) قالوا خيرًا أخٍ كريم وابن أخٍ كريم فقال لهم (اذهبُوا فأنتم الطلقاء) وعفا عنهم فأقبل الناسُ عليه يُبايعُونه على الاسلام وكان منهم مُعاوية بن أبي سفيان وأبو قُحافة عثمانُ والدُ أبي بكر الذي فرح ابنُهُ والرسولُ باسلامه فرحًا كبيرًا ومنهم غيرُ هذين من صناديد قريش . ثم أمر صلى الله عليه وسلم بلالاً بالأذان فوق الكعبة إعلامًا ببَدْء ظهور الاسلام على ظَهْر هذا البيتِ المعظَّم فانَّ ذلك هو النِّعمةُ الكُبرَى والنصرُ المُبين

﴿مما هنا تعلم انه كان في أعلى رتب مكارم الاخلاق حيث قابل الكفر بالاحسان . وانه كان لا ينتقم لنفسه . وأن ألد أعدائه شهدوا له بالفضل والمعروف * والفضل ماشهدت به الاعداء * وأن بالعفو والاحسان يسود الانسان و بالصبر يكون الظفر﴾

غزوة حُنين (١)

بعد هذا الفتح المُبين ودُخول الناس فى دين الله أفواجاً بلغه عليه الصلاة والسلام أنَّ بعضَ القبائل المُجاورَة لمكة تحالفتْ على مُقاتلته فخرجَ بجيشه الأول وأمدَّته قريشٌ برجالها فلما رأى المسلمون كثرتهم أُعجبُوا بها وظنوا الغَلَبة فأخلف الله ظنَّهم وتقهقرُوا أمامَ عدُوّهم الا الرسولَ وبعض أصحابه فانهم ثبتوا مكانهم وكان عليه السلامُ ينتسبُ ويقول

أنا النَّبىُّ لا كَذِبْ أنا ابنُ عبد المطَّلب

ثم قال للعباس نادِ بالأنصار فصاحَ يامعشرَ الانصار ياأصحابَ بيعةِ الرِّضوان فلبَّوُا النِّداء واجتمعوا حول النبى (وأنزلَ الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنينَ وأنزلَ جنوداً لم تروها) فحملوا على الكفار بقلب واحد فانهزموا شرَّ هزيمة وتفرَّقوا فى كلِّ جهة فتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون حتى أسروا منهم خلقاً كثيراً وغنموا مالا يُحصر من الإبل والغنم والدَّراهم. وفى هذا اليوم أسلم خلقٌ كثيرون من المشركين لما رأوه من

(١) واد بقرب الطائف بينه وبين مكة ثلاث ليال

عناية الله بالمسلمين. ثم رجع الرسول وأصحابه الى مكة وبعد أن اعتمر أمر بالرحيل الى المدينة وولى على مكة عتاب بن أسيد وهو ابن عشرين سنة[1] وهذا أول أمير من المسلمين على مكة ثم سار الجيش في أمان فرحاً مسروراً ببلوغ المأمول * وبهذه الغزوة فرق الله شمل المشركين وانكسرت حدتهم وضعفت حميتهم ولم يبق فيهم من يمانع أو يدافع حيث خضع للاسلام غالب القبائل

﴿ حجة الوداع ﴾

في السنة العاشرة من الهجرة حيث انتشر الاسلام واتسعت دائرته وعلت كلمته وأمنت الجهات خرج الرسول في جموع كثيرة لأداء فريضة الحج فدخل مكة وأدى نسكه ثم خطب يوم النحر بمنى خطبته التي بين فيها الدين وأوضح معالمه وأكثر فيها من قوله (ألا هل بلغت. ليبلغ الشاهد منكم الغائب اللهم اشهد. ثم ودع فيها الناس) فسميت تلك الحجة بحجة الوداع

(١) يؤخذ من ذلك ان رفعة الانسان تكون بالفضل لا بالسن

الوفود ومعاملته لهم

فى هذه السنة والتى قبلها وفَدَ على رسول الله مِنَ العرب وُفودٌ كثيرون لِيبايعُوه فكان يقابلهم باللطف والبَشاشة ويُعامِلُهم بالحُسنَى والحِلم ويُكرِم مَثواهم ويُواسيهم ويُعلِّمهم الدينَ ثم يَعُودون الى قبائلهم وألسنَتُهم رَطْبةٌ بالحمد والثناء عليه ولنذكرْ لك طَرَفا من ذلك فنقول

وفد عدىّ بن حاتم الطائى

سبب وِفادَته بعد فِراره الى الشام عند رُؤيته الرايات الاسلامية قاصِدَةً بلادَه أنَّ أختَه أسَرَها المسلمون فعاملها الرسولُ بما جُبِل عليه من الاكرام وفَكَّها من قُيود الأسر فشكرَت معروفَه وذهَبت الى أخيها وأخبرَته بما عُومِلتْ به وقالت أرى أنْ تَلحَق بمحمد فان يكن نبياً فللسّابق اليه فضلٌ وان يكن مَلِكا فأنت أنت فوفد اليه فلما رآه الرسولُ قال مَنِ الرجلُ فقال عَدِيُّ بنُ حاتم فرحَّب به وأخذه الى داره. وفى أثناء سيرهما استوقفت النبىَّ امرأةٌ عجوزٌ ضعيفةٌ وأخذت تَقُص عليه شؤُنها مدة طويلة فقال عدىٌّ فى نفسه والله ماهو بِمَلِكٍ ثم ذهبا

حتى دخلا الدار فأحضرَ الرسولُ وِسادةً من جلدٍ حشْوُها ليفٌ وأجلس عليها عَدِيًّا وجلس هو على الارض ثم قال ياعدِيُّ أَسْلِمْ تَسْلَمْ (ثلاثا) فقال عديّ انى على دِينٍ (نصرانى) فقال عليه السلام أنا أعلمُ بِدِينك منك ألم تفعلْ كذا وكذا مما هو مُخالفٌ له . ثم قال ياعديّ أيمنعُك مِنَ الدخول فى الاسلام قَوْلُكَ انما يَتَّبعُه ضُعَفاءُ الناس ومَنْ لاقُدْرةَ لهم وقدْ رمتْهم العَرَبُ مع حاجتهم فوالله لَيُوشِكَنَّ المالُ أن يَفِيضَ فيهم حتى لايوجدَ مَنْ يأخذُه . أيمنعك مِن الدخول فيه ماترى مِنْ كثرة عَدُوِّهم وقلة عَدَدِهم أتَعْرِف الحِيرة[1] قال لم أرَها وقد سمعتُ بها قال فو الله لَيَتِمَّنَّ هذا الامرُ حتى تخرج المرأةُ من الحِيرَةِ فتطوفَ بالبيت من غير جِوَار . أيمنعُك من الدخول فيه أنك ترى المُلْك والسُّلطان فى غيرهم وأيمُ الله لَيُوشِكَنَّ أن تَسْمعَ بالقصور البيضِ من أرض بابِلَ قد فُتِحت عليهم فأسلم عديّ وحَسُن اسلامُه ثم عاش حتى رأى جميعَ ماذكره الرسولُ

(١) بلد بالعراق بينها و بين الكوفة ثلاثة أميال

(وفد قبيلة ثقيف)

لما رأى أهلُ هذه القبيلة أن لاطاقةَ لهم على حرب الرسول أرسلُوا الى المدينة جمعاً من أشرافهم معهم عثمانُ بنُ أبى العاص وهو صبىٌّ صغيرٌ فلما وَصلوا تركوا رحالهم خارجَ المدينة وخلفُوا عندها عثمان وذَهبُوا الى الرسول وهو فى المسجد فلما رآهم أكرمَ وفادتهم ونَصب لهم خيمةً فى ناحية المسجد يأوُون اليها كلَّ يوم ليَسمعُوا القرآن ويرَوُا الناس يُصلون ثم يرجعون الى رحالهم فينامون . وكان عثمانُ يذهب سِرًّا الى الرسول فيُعلّمه هو أو أبو بكرٍ القرآنَ والدِّينَ والصلاةَ ثم يرجع لاصحابه وهم لايشعرون . ثم لمَّا هداهم اللهُ للاسلام طلَبُوا من الرَّسُول مَن يذهبُ معهم ليُعلّمهم القرآن والدين فعهد بذلك الى عثمان وهو أصغرُهم سِنًّا لما رآه من حِرصه على الاسلام وقراءةِ القرآن ومعرفة الدين فأنكروا عليه ذلك فأحضرَه أمامهم وأخذ يسأله فصار يُجيبُ عن كل ماسُئل فدَعاله بالبركة وأمَّرَه عليهم

(مما هنا تعلم ان الجد والنشاط يبلغان صاحبهما الارب وأن العلم والدين سببان لنوال أعلى الرتب ولوكان صاحبهما صغيرا)

(وفد عبد القيس)

كان الرسول جالسا مع أصحابه ذات يوم فقال لهم (سيطلع عليكم من هنا ركب هم خير أهل المشرق لم يكرهوا على الاسلام قد أنضوا[1] الركائب وأفنوا الزاد اللهم اغفر لعبد القيس) فاذا بهم فقال (مرحبا بالقوم غير خزايا ولا ندامى) فنزلوا فى ضيافته ، ثم لما أرادوا الانصراف قالوا يارسول الله مرنا بأمر فصل فقال لهم (آمركم بالايمان بالله أتدرون ما الايمان بالله شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس) ثم نهاهم عن عمل النبيذ فى أوان مخصوصة كانوا يعملونه فيها مثل المزفت والمقير . ثم أكرم وفادتهم وأجازهم

(وفد ثعلبة)

جاء هذا الوفد الى رسول الله وقالوا نحن رسل من وراءنا ومقرون بالاسلام ولكن سمعنا أنك تقول لا إسلام لمن

(١) أى أتعبوها حتى ضعفت من السير

لا هجرة له فوفدنا عليك فقال لهم عليه السلام (حيثما كنتم واتقيتم الله فلا يضركم) وبعد أن أقاموا فى ضيافته أياماً وأرادوا الرجوع الى قومهم اعطى كلّ واحد منهم خمس أواقٍ من الفضة . وهكذا كان يفعل مع غالب الوفود

(من معاملته لهؤلاء الوفود تعلم كيف كان اكرامه للضيوف وتواضعه وسماحته وشفقته وحنوّه ومعاملته للضعفاء باللين والرفق وجذبه القلوب الى الايمان وذكاؤه ومحبة الناس له واقبالهم عليه واجتهاده فى نشر الدين وغير ذلك مما لا يقدر على أن يقوم به الا من أمده الله بمعونته

(وفاته عليه الصلاة والسلام)

فى الحادية عشرة من الهجرة أراد النبىّ غزو الروم بفلسطين فجهز جيشاً كبيراً وأمّر عليه أسامة بن زيد وبينما هم فى التجهيز طرأ المرض على رسول الله فلم تتم تلك الغزوة في حياته وأتمها بعد وفاته أبو بكر الصديق خليفته ولقد دام برسول الله ذلك المرض حتى (توفى) في يوم الاثنين ثانى عشر ربيع الأول من تلك السنة المتممة له ثلاثا وستين سنة (ودفن) حيث قبض فى حجرة عائشة بالمدينة المنوّرة وهى الآن من المسجد النبوي الذى يسمّى بالحرم المدنى

(شمائله وصفاته صلى الله عليه وسلم)

أما شمائله وصفاته فحدث عن البحر ولا حرج ولنقتطف لك شذرة منها تبرك بها فنقول

نشأ صلى الله عليه وسلم مطهراً من أقذار الجاهلية قد خصه الله بالحظ الأوفر من الحشمة والمكانة فى القلوب والاحترام قبل النبوة وبعدها حتى لم ير فى انسان مثل كمال مكرماته من مهده الى لحده . فكان أكبر قومه مروءة واكرمهم حسباً وأعظمهم حلما وأصدقهم قولا وألطفهم معاملة وأعظمهم جوارا وأوفاهم أمانة وذمة

كان أحسن الناس خلقا وخلقاً وأرجحهم عقلا وأسدهم رأيا وأوسعهم صدرا وأطهرهم طبعا وأشجعهم قلبا وأسخاهم يداً وأطيبهم نفسا وأكرمهم عشرة . لم ير مثل تواضعه ولا علمه ولا حلمه ولا عفوه ولا صبره ولا وفائه ولا زهده ولا صدقه ولا صمته اذا صمت ولا قوله اذا قال

كان أعرف الناس بالله وأخشاهم لله وأكثرهم عبادة لله يذكر الله بين كل خطوتين لا يقوم ولا يقعد ولا ينام الا على ذكر الله

كان لا يتكلم الا فيما يَعنيه وفيما رُجِي ثوابُه . ولا يقطع على أحدٍ حديثه . إن صمت فعليه الوقارُ وان تكلم علاه البهاء . مجلسه مجلسُ علمٍ وأمانةٍ وحياء ، لا تُرفع فيه الاصواتُ ، ولا تُنتهك فيه الحُرُمات ، اذا تكلم أطرقَ جُلساؤه كأنما على رُؤسهم الطير فاذا سكت تكلموا واذا أمرَ بادَروا الى امتثال أمره * كان يزورُ الضعفاء والفقراء ويجالسهم ويعودُ مرضاهم ويشهدُ جنائزهم ويتفقدُ حالتهم ويُؤلفهم ولا يُنفرهم * ويُكرم كلَّ كريم قومٍ ويُولّيه عليهم * ويحذرُ الناسَ ويحترسُ منهم ولا يذمُّ أحدا ولا يَعيبُه * ويبدأُ بالسلام كلَّ من لقيه * ويجلس حيث ينتهي به المجلسُ * ويُكرمُ من يدخل عليه وربما بَسطَ له ثوبه * ويُكنّي أصحابَه ، ويستشيرُهم في الامور ويدعوهم بأحب أسمائهم

كان لا يُخيّبُ راجيه ولا يرُدّ سائله الا بحاجته أو بميسور من القول فلا يأتيه أحدٌ يسأله مالا الا وَعدَه او أنجزَ له

كان عالي الهمةِ كامل المروءة . عظيما في نفسه معظّما عند غيره في الغيبة والحضور . تعلوه المهابةُ والوقارُ والجلالُ والكمالُ ومع ذلك كان لا يعتمد على أحدٍ في جميع أحواله حتى

لقد كان يقضي حاجات بيته بنفسه ويحملها بيده الشريفة الى أهله ويقول (صاحبُ الشئ أحقُّ بحمله)

كان اذا عطس وضع يده أو ثوبه على فمه وخفض صوته وحمد ربه . ماتثاءب قط ويكره التثاؤب من غيره

كان حسن الجسم معتدل الخلق متناسب الأعضاء سمينا سمنا متناسباً ليس بالطويل ولا بالقصير . عظيم الرأس سهل الخدين فى وجهه طولٌ مع استدارة يتلألأ تلألؤ القمر ليلة التمام ، أبيضَ مشربا بحمرة . قال أبو هريرة مارأيت شيئاً أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجرى فى وجهه ولا رأيت احداً أسرعَ فى مشيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الارضُ تطوى له انا لنجهدُ[1] أنفسنا وانه لغيرُ مكترثٍ بل يمشى على هينةٍ فيقطعُ من غير جهدٍ مالا نقطعه بالجهد

كان يعظمُ النعمة وان دقّتْ (قلّت) لا يذمُّ شيئاً ولا

(١) أى نتعب أنفسنا بالاسراع فى المشى وهو يمشى على مهل ومع ذلك يسبقنا

يَغْضَب لنفسه ولا يَنْتَصِرُ لها ليس بالجافي الطبع السيِّئ الخُلُق اذا غَضِبَ أعْرَضَ وَبالغ واذا فَرِح غَضَّ طَرْفه . لا يملأ عينيه من الاشياء سيَّما الدُّنيا وزخارِفها . (١) جُلُّ ضَحِكِه التبسُّمُ ، يفترُّ عن مثل حبِّ الغَمام . ومن كلام سيدنا حسان فى وصفه

وأحسنُ منك لم تَرَ قطُّ عَيني ... وأجملُ منك لَمْ تَلِد النِّساء

خُلِقْت مُبرَّأً من كلِّ عَيبٍ ... كأنك قد خُلِقْت كما تَشاء

كان خافضَ الطَّرْف نظرُه الى الارض أطولُ من نَظَرِه الى السماء جُلُّ (٢) نَظَرِه المُلاحظةُ . دائمَ الفكرة . طويلَ السكوت . لا يتكلمُ فى غير حاجةٍ . يَفْتَتِحُ الكلام ويَخْتِمه باسم الله وَيَتكلَّم بجوامع الكلِم وبدائع الحِكَم ويُعيدُ الكلمةَ ثلاثا لتُعْقَل عنه * كلامُه فَصْلٌ (حق) لا فُضُولٌ ولا تقصير . الى غير ذلك من جمال الذات ، وكمال الصفات

وسنذكر لك فى خاتمة الكتاب نَمُوذجاً من كلامه عليه أفضل الصلاة والسلام

(١) أى معظم ضحكه التبسم بقدر ما تظهر اسنانه بيضاء تلمع كأنها الحبوب النازلة مع المطر (٢) أى معظم فكره ملاحظة صنع الخالق جل وعلا

(معجزاته عليه الصلاة والسلام)

المُعجزة هى الامرُ المخالف للعادةِ الذى يَظهر على يد نَبيٍّ أو رَسُولٍ بُرهاناً له على صِدق دَعْواه . وأنت ترى يابُنىّ مما تقدم فى سيرةِ رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم أنه مِن يومِ ولادَتِه الى مبعثِه كانت أحوالُه وأقواله وأفعاله كلُّها كراماتٍ تَجلُّ عن الحَصْر ومن مبعثه الى وفاته كلُّها مُعجزاتٌ باهراتٌ وآياتٌ بيِّناتٌ دالّةٌ على أنه رسولُ الله حقاً

ومن أعظم تلك المُعجزات (القرآنُ الكريم) وهو هذا الذى نقرؤه لأن بلاغتَه أعجزت الفُصَحاء وأفحمت الخُصَماء وهم اذذاك أمَراءُ الكلام ، فضلاعن اشتماله على الاخبار بأمورٍ لم تَقَع ثم وَقَعت كما أخبرَ . وعلى أخبارِ السالفين من الانبياء والمُرسلين وغيرِهم مع أنَّ سيدَنا محمداً كان اُمِّيّاً لايقرأ ولا يكتبُ *ومنها (انشقاقُ القمر) حين طَلَبتْ قريش منه ذلك «اقتَرَبَتِ السّاعةُ وانشَقَّ القَمَرُ» ومنها (نَسْجُ العنكبوت . وتَعشيشُ الحَمام على فَم الغار) لمّا دخله هو وأبو بكر استتاراً عن أعيُن المشركين حين الهجرة كما تقدم *ومنها ذهاب الامراض والآلام بمُجرَّدِ اللمسِ والنَّفثِ

* ومنها تأييدُه بالنصر فى جميع الغزوات وإمدادُه فيها بالملائكة والريح العاصف * ومنها هداية الناس واخراجهم من الظلمات الى النور مع وحدته وكثرة أعدائه وقوة حمية الجاهلية فيهم * ومنها قلبُ كيان الأمة العربية من البداوة البحتة الى الحضارة والمدنية فى مدة وجيزة * ومنها غير ذلك مما يجل عن الحصر

وبمثل هذه المعجزات تأيدت جميعُ الرسل كإبراء سيدنا عيسى للأكمه والأبرص [1] بمجرد اللمس وإحيائه الموتى باذن الله وغير ذلك

وكاليد لسيدنا موسى التى كان اذا أدخلها فى جيب قميصه تخرجُ بيضاء لها شعاع كالشمس * وكالعصا التى ضرب بها البحرَ فانفلقَ والحجرَ فتفجر منه الماء . كما أنها انقلبت حيةً عظيمةً وابتلعت كلَّ ما أمامها من صغير وكبير فى حادثته مع سحرة فرعون * وذلك أنَّ الله لما أرسل موسى الى فرعون وقومه ودعاه الى عبادة الله كذَّبَ واستكبر وقال ليس هناك إلهٌ غيرى فبرهنَ موسى على صدقه باليد والعصا التى ألقاها فصارت ثعبانا فقال فرعونُ وقومُه ماهذا الا سحرٌ يمكن إبطاله فجمع

(١) الاكمه الذى يولد أعمى . والبرص داء فى الجلد يقعه

أمهر السحرة وألزمهم بأن يصنعوا من السحر ما يبطل عمل موسى فصنعوا سحرهم من حبال وأغصان طوال ملؤوا بها الوادي فكانت تتحرك ويركب بعضها بعضاً حتى تخيل الناس أنها حيات ثم جاء موسى وألقى العصا فصارت حيةً عظيمة وابتلعت جميع ما صنعوا وقصدت الذين حضروا ففزعوا وهربوا ثم قصدت فرعون في قصره فوضعت لحيها الأسفل في الارض والثاني على سور القصر فصاح فرعون الامان الامان فأمسكها موسى بيده فعادت عصاً يتوكأ عليها كما كانت وحينئذ خرت السحرة ساجدين وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون * ثم ظل موسى يدعو فرعون وقومه ويظهر لهم الآيات البينات وهم يكذبونه حتى أمره الله بالخروج مع المؤمنين به من أرض الفراعنة (مصر) فخرج بهم فاقتفى أثرهم فرعون بجنوده حتى اذا بلغ موسى وقومه البحر وظنوا أنهم مدركون أمره الله بأن يضرب البحر بعصاه فضربه فانفلق وصار اثني عشر طريقاً فمشى فيها موسى وقومه حتى نجوا فطمع فرعون ومشى بجنوده وراءهم فلما توسطوا البحر انطبق عليهم فأغرقهم جميعا * فسبحان القاهر القادر

﴿زوجاته وسراريه عليه السلام﴾

تُوُفِّي رسولُ الله عن تسع زوجات وهن . عائشةُ . حفصة صفيّة . سوْدَة . ميمُونة . هِنْدٌ وهي أم سلمة . زينب بنت جَحْش جُوَيْرية . رَمْلة . وهي أم حبيبة[1] . ومات في حياته خديجة وزينبُ بنت خُزَيمة . وكلهن أمهات المؤمنين فاضلاتٌ طيّباتٌ طاهراتٌ وأفضلُهن عائشة بنت أبي بكر الصديق التي لم يتزوج بكراً غيرها وتوفي عنها وعمرها ١٨ سنة وعاشت بعده نحو ٥٠ سنة

وأما سراريه فثلاث مارية القبطية . ريحانة . جَميلة

﴿أولاده عليه الصلاة والسلام﴾

أولاده سبعةٌ ثلاثة ذكور وأربع إناث منظومة في قول بعضهم

قاسِمُ إبراهيم عَبد الله ... هُمُ الذُّكور للنَّبي الأوّاه

ثمَّ الاناث زينبٌ فاطمة ... فامُّ كلثُوم كذا رقيَّة

وكلهم من خديجةَ الا ابراهيمَ فمن ماريةَ القبطية . وتُوفِّي

---

(١) وقد نظمهن بعضهم فقال

توفي رسول الله عن تسع نسوة ... الهن تعزى المكرمات وتنسب

فعائشة ميمونة وصفية ... وحفصة تتلوهن هند وزينب

جويرية مع رملة ثم سودة ... ثلاث وست كلهن مهذب

في السنة العاشرة من الهجرة. وأما القاسم وعبدُ الله فانهما ماتا قبل البعثة * وأما الاناث فكلُّهنَّ أدرَكن الاسلامَ وأسلمن ولم يعِش منهن بعده عليه الصلاة والسلام الاّ فاطمةُ فانها ماتت بعده بستة أشهر وقيل بشهرين ونصف

اخوته صلى الله عليه وسلم من الرضاع

سيدنا محمد هو الدُّرَّة اليتيمةُ الفريدة . لم يشاركه فى أبويه أخٌ ولا أختٌ وانما شارك فى الرَّضاع إخوَةً منهم مَسْرُوحُ ابن ثُوَيْبَة مولاة عَمِّه . وأبو سلمة المَخْزُومىُّ ابنُ عمَّته . وأبو سُفيانَ ابنُ عمِّه الحارث . وعمُّه حمزَة . وعثمانُ ابنُ مَظْعُونٍ . وابن حليمَةَ السَّعْدِيَّة عبدُ الله . وابنتُها الشَّيْماء

أخواله وخالاته وجداته وأعمامه وعماته

(اخواله) عَبْدُ يَغُوثَ * والأسودُ * وعُمَيرٌ * والاخيران صحابيان

(خالاته) فُرَيصةُ * وفاختةُ وماتتا قبل البعثة

(جداته) جدته أم أبيه فاطمة بنت عمرو . وجدته أم أمه بَرَّة بنت عبد العُزَّى

(أعمامه) أبو طالب . أبو لهب . حمزةُ . العباس . الزبير الحارث . ضِرَارٌ . المُغيرَة . عبدُ الكعبة . المُقَوِّم . الغَيداق

ولم يُدرِكِ الاسلامَ منهم الا الاربعة الاوَل ولم يسلم يقيناً الا حمزة والعباس *

(عمّاته) صلى الله عليه وسلم * صفيّة أمُّ الزبير بن العوّام * عاتكة . أروَى . أُميمة . بَرّة . أمُّ حكيم

خلفاؤه عليه الصلاة والسلام

لما تُوُفّي الرسول قام بالامر بعده الخُلَفاء الاربعة الراشدون رضوان الله عليهم أجمعين وهم أبو بكر الصدّيق وعُمر بن الخطاب وعُثمان بن عفّان وعليُّ بن أبي طالب * فتعاقبوا الخلافةَ واحداً بعد الآخر مدة ثلاثين سنة فجاءت مِصداقا للحديث الشريف «الخلافة بعدى ثلاثون ثم تكون مُلْكا عَضُوضا [1]» وقد اتّسعتْ في أثنائها دائرة الاسلام اتّساعاً عجيباً وعَظُمَ قَدْره وارتفع شأنُه وعَمّت فُتوحاتُه مَشارقَ الارض ومغاربها حتى كانت تلك المدة اعظمَ المُدَدِ الاسلاميّة في جميع الاعصار * ولنذكُرْ لك ملخص سيرة كل واحد من هؤلاء الاربعة المكرمين بغاية الاختصار فنقول

(١) يعض عليه أو فيه عسف و فى رواية ملوك عضوض أى أصحاب دهاء

﴿سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه﴾

(سيرته وأخلاقه وفضائله)

هو عبد الله بن أبى قُحافةَ عثمانَ بن عمرو يلتقى مع الرسول عليه الصلاة والسلام فى جدّه مُرّةَ بن كَعْب . ولد بعد مولد الرسول بسنتين وأشهرٍ وشبَّ على الصفات الكاملة والاخلاق الفاضلة من الحلم والتواضع والصدق والامانة *كان ذا هيبةٍ ووقار عند جميع العرب لحرمته وفضله محبباً فيهم مقدَّما عند قُريش في الرأى والمشورة *ذا احسان كبير ومروءةٍ تامةٍ ومالٍ جزيل صرفه فى وجوه الخير ومصالح المسلمين *ويُروَى عنه أنه في مرض موته قال لبعض أصحابه انّي ما أصبت من دنياكم شيئاً بل أفقت نفسى فى مال الله وفيء[1] المسلمين مقامَ الوصيّ فى مال اليتيم ان استغنى تعفف وان افتقر أكلَ بالمعروف ، وكفاه فخراً أنه حاز شرفَ الصحبة بنصّ القرآن (ثانيَ اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لاتحزن انّ الله معنا) وأنه صلى

(١) ما أخذ من الكفار بغير حرب ولا تقدير من الامام يسمى فيئا

بالمسلمين اماماً في مرض الرسول وصحبه في جميع الأحوال وأنه أول من آمن بالرسول من الرجال وأن الرسول قال فيه انّ من أمنّ الناس (١) علىّ فى صحبته وماله أبا بكر. واسانى بماله وزوّجنى ابنته وصحبنى في الغار ولو كنت متّخذا من أمتى خليلاً لاتخذت أبا بكر * ومع كلّ ذلك قام خطيبا يوم أن تمت مبايعته فقال أيها الناس انى قد وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فأعينونى وان أسأت فقوّمونى . الى آخر ماقال

(خلافته وأعماله)

بعد وفاة الرسول اتفقت كلمة أكثر الصحابة على أن يكون ابو بكر خليفةً له وأميراً على المسلمين فقام بالأمر خير قيام مقتديا في جميع أعماله بالقرآن والحديث * وأول مابدأ به أنه سير الجيش الذى كان الرسول جهزه لغزو الروم وأمر عليه أسامة بن زيد كما كان الرسول فاعلا وعمر أسامة يومئذ ١٧ سنة (٢)

(١) أى ان أكثر الناس معروفا عندى أبو بكر لكونه أعاننى على اظهار الدين بالمال وغيره وهذا الحديث مجموع من روايات متعددة

(٢) من هذا تعلم أن قيمة الرجال باعمالهم لا بسنهم

فخرج أميراً على هذا الجيش راكباً وأبو بكر بجواره ماشياً يودّعه ويوصيه بقوله * لاتخونوا * لاتغدروا * لاتمثّلوا * لاتقتلوا طفلا ولا شيخا ولا امرأة * اصنعوا ماأمركم به الرسول ولا تقصّروا الخ فساروا حتى التقوا مع الرّوم وقاتلوهم وانتصروا عليهم ثم رجعوا ظافرين غانمين بعد ٤٠ يوما * فعظُم شأنُ أبي بكر عند الامّة وعلموا أنّ مخالفة بعضهم له في أمر هذه الغزوة لم تكن من الحكمة

ثم أخذ فى تذليل من امتنع عن أداء الزّكاة وقمع من ارتدّ عن الاسلام كأتباع الاسود العنسىّ ومسيلمة الكذّاب وغيرهما فجهّز الجيوش وأمّر الامراء وكانوا أحد عشر أميرا بعدد أولئك الاشقياء وأرسل كلّ أمير الى واحد منهم مستعينا بالله واثقا منه بالنصر الذى لازم المسلمين اذذاك مع قلّتهم وكثرة أعدائهم لان قلوبهم كانت مملوءة غيرة على الاسلام مثل خليفتهم فصدقت نيّاتهم فى القتال حتى كلّل الله عملهم بالنجاح

ثم وجّه سيدنا خالدا بالجيوش الى العراق لمحاربة الفرس * ووجّه سيدنا ابا عبيدة الى الشام لقتال الرّوم * وبعد أن فتح

سيدُنا خالدٌ مدينتَى الحيرة [١] والانبار وغيرَهما من مُدُن العِراق وهزَم الفرس هُناك مِراراً صدَرَ له الامر بالتوجُّه الى الشام لمُساعدةِ ابى عُبَيدة فسار اليها ومعه نصفُ جيشه وبوصوله رتَّب الجيوش الذين قاتلوا قتالا شديدا حتى هزموا الروم فى واقعة تسمى واقعةَ اليَرْمُوك [٢] وهى من أعظم الوقائع الاسلامية ثم فتحوا مُدُنا كثيرةً غنَموا منها أموالا عظيمة وبذلك ظهر الاسلامُ ظُهُورا بيِّنا ووقع الرُّعب فى قلوب أعدائه وخافوا خوفا كبيرا

ثم لمّا استُشْهِد فى تلك الوقائع كثيرٌ من حَفَظَةِ القرآن أشار سيدُنا عُمرُ على أبى بكر بجَمْعه فجمعه من صُدُور الرِّجال والجُلود والعِظام فى صحائفَ فكانت عنده مدة حياته ثم عند سيدنا عمر ثم عند حفصةَ بِنْتِ عُمر وَزَوْجةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الحيرة مدينة كانت عاصمة العرب قبل الفرس وهى غربى الفرات بقرب الكوفة . وأما الانبار فهى مدينة على شاطئ الفرات شمال الكوفة

(٢) اليرموك واد كبير بالشام

﴿فصل فى جمع القرآن وترتيبه وكيفية نزوله﴾

اعلم يا بنى ان الامة الاسلامية بأسرها أجمعت على أن القرآن كتاب منزل من عند الله لم يخالف فى ذلك أحد من أئمة المسلمين قديما وحديثا

وقد أجمع المحققون وتواترت الأخبار على أنه جمع ثلاث مرات مرة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومرة فى عهد أبى بكر الصديق ومرة فى عهد سيدنا عثمان رضى الله عنهما . فالتى فى عهد الرسول هى ترتيب الآيات التى كانت تنزل مفرقة على حسب الوقائع وجمعها فى سورة واحدة وكان ذلك على يد سيدنا زيد بن ثابت بتعليم من الرسول كما علمه جبريل حتى جمع القرآن على ماهو عليه الآن الا أنه لم يكتب فى كتاب واحد

وأما التى فى عهد أبى بكر فكانت باشارة سيدنا عمر وكانت على يد زيد بن ثابت أيضا لانه كان يكتب الوحى لرسول الله فتتبع القرآن وجمعه من صدور الرجال ومن العسب والجلود والعظام ورتبه على نحو ترتيبه فى المرة الاولى وكتبه كله فى أوراق بقيت عند أبى بكر ثم عند عمر ثم عند حفصة كما تقدم

وأما التى فى عهد سيدنا عثمان فهى أنه سلم تلك الاوراق التى كانت عند حفصة لأربعة من الحفاظ منهم زيد بن ثابت وأمرهم بترتيب السور ونسخ الكل فى مصحف واحد على هذا الترتيب الذى تقرؤه اليوم ففعلوا ثم أمر باستنساخ المصاحف منه فكتبوا أربعة وقيل خمسة وأرسل لكل قطر مصحفا وصار العمل على ذلك الى الآن (وهو يسمى بالمصحف العثمانى)

وأما كيفية نزوله فالذى عليه المحققون أنه نزل دفعة واحدة بانزال

جبريل به حيث تلقفه من الله تلقفا روحانيا ونزل به الى الملائكة فى السماء الدنيا ثم صار ينزل به مفرقا على حسب الوقائع والمقتضيات كما يأمره ربه فاللفظ والمعنى منزلان من عند الله (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)

وفاة أبى بكر رضى الله عنه

لما اشتدَّ المرضُ بسيدنا أبى بكر جمع أكابر الصحابة واستشارهم في أنْ يكونَ سيدُنا عمرُ خليفةً بعدَه فتمَّتْ كلمتُهم عليه فعَهِد له بذلك وأوصاه بالمسلمين خيراً ثم تُوُفِّى رضى الله عنه فى أواخر جمادى الآخرة سنة ١٣ هجرية وعمره ٦٣ سنة ومدَّة خلافته سنتان وثلاثة أشهر وبضعة أيام ودُفِن بجوار رسول الله * تغمده الله بالرحمة والرضوان

(مما تقدم تعلم ما كان عليه سيدنا أبو بكر من التقوى وصدق النية وشدة الاعتماد على الله والغيرة على الدين وعلى رفع شأنه ولذا لم يتراخ عن محاربة مانعى الزكاة . وان رأيه فى تسيير جيش اسامة وجرح الامة بالنبي لم يندمل كان من أسد الآراء وأحزمها مع قلة المال والرجال فان به ظهر للاسلام قوة عظيمة وقع بها الرعب فى قلوب المرتدين والمحاربين مع كثرتهم وبذلك لمّ شعث المسلمين بعد تفرقهم بارتداد كثير من العرب عن الاسلام . وكذلك اقدامه على محاربة الدولتين العظيمتين المجاورتين لبلاده حتى أرغم أنفهما وخفض من شوكتهما * ولولا هذا العمل لتشتت أمر المسلمين ولذا قال سيدنا أبو هريرة * والله الذى لا اله غيره لولم يستخلف أبو بكر ما عبد الله تعالى * قالها ثلاثا)

﴿أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه﴾

﴿سيرته وأخلاقه وفضائله﴾

سيدُنا عُمر بن الخطّاب بن نُفَيْلٍ المُلَقَّبُ بالفارُوق يجتمع مع الرسول في كَعْبِ بن لُؤَيّ فهو من أشراف مكّة وعُظَماء قريش * نشأ على الشهامة والنَّجدة والحَمِيّة وسَدَاد الرَّأى مَسْموعَ الكلمة في قومه حتى انَّ الرسولَ كان يتمنّى إسلامَه ويدعو كثيرا بقوله (اللهم أعزَّ الاسلام بعُمَرَ) فأجاب اللهُ دعوتَه وَهدى عمر للاسلام بعد أنْ كان من أكبر المعارضين له . ولما أسلم أشار على الرسولِ باظهارِ الدّين وعدمِ الاختفاء فخرج المسلمون صفَّين يَوْمَ احدهما سيدُنا عُمر والثانى سيدُنا حمزةُ عَمُّ الرسول مُهلِلين مكبّرين داعينَ للدّين جاهرين بالصلاة التى كانت لاتفعل الا سرًّا . فببَرَكة دُعائه عليه الصلاة والسلام كان عُمر من أكبر أسباب معزّة الاسلام فى الفتح والنصر والامان والهجرة * كان شجاعا مهيبا هابَتْه العَرَب والعجمُ حتى انه لمّا أراد الهجرة الى المدينة لم يخرُج خفيةً كغيره بل جاء الى الكعبة وحولها صناديدُ مكة فدخلها وطاف وصلّى

ثم خرج عليهم صائحا يقول * انى مُهاجرٌ فمنْ أراد منكم أنْ تَثْكَلَهُ (١) أمُّه ويَيْتَمَ ولدُه وتَتَرمَّلَ امرأتُه فليَلْقنى وراء هذا الوادى * وتركهم وذهب فلم يجسُرْ أحدٌ على أنْ يلقاه

كان أقوى الناس جهاداً فى سبيل الله وصبرا على المشاقِّ شديدَ الحِرْص على حِماية الدين وحقوق الخِلافَة والمسلمين وفى أقصى درجات العَدالة والسِّياسة والفِراسة حتى إن عَمْرَو ابنَ العاص لما أراد حفر بَرْزَخ السُّوَيس (القنال) واستأْذَنه منَعه وقال أخشى انْ الفِرنجَ يكثُرُون بالمَشْرق وبلاد المَغْرب كما هو الآن * وهو أوّل من سُمّى بأمير المؤمنين من الخُلَفاء الراشدين وأوّلُ من وَضَع التاريخَ الهِجْرى وأوّلُ من سجّل بالدفاتِر أسماءَ الجُنود وأموالَ المسلمين المجلُوبةَ من الزكاة والجِزْية والغنائم (٢) وأوّلُ مَن اتّخذ دارَ المؤْن ليُعين بها المحتاجين وأوّل من طافَ بالليل مُتفقّداً أحوالَ الرّعية خصوصا الضُّعَفاء والعجائز

(١) اى تفقده (٢) الجزية هى ما يفرضه الامام على أهل الذمة المقيمين ببلاد الاسلام . والغنيمة هى ما يأخذ المحاربون وقت الحرب

ومما ثبت فى ذلك ماحكى انه خرج ليلةً الى خارج المدينة ومعه زيد بن أسلم فرأيا نارا فانطلقا اليها فاذا امرأةٌ معها أطفالٌ تُوقد تحت قدر والاطفالُ حولها يبكون فسلّم فردت المرأةُ السلام فسألها عن بكاء أولادها فقالت من الجُوع قال فما فى هذه القدر قالت ماء وحصًى أشاغلهم به حتى يناموا فالتفت أميرُ المؤمنين الى زيدٍ وقال انطلق بنا فانطلقا حتى أتيا دارَ المُؤَن واحتمل منها على ظهره دقيقًا وسمنًا فأراد زيد أن يحمل عنه فأبى وقال أنت تحمل عنى الآن ومن يحمل عنى وزرى يوم القيامة ثم انطلقا حتى أتيا المرأة فألقى سيدُنا عُمر فى القدر بعضًا من السمن والدقيق وأخذ يحرّكه ويُوقد عليه بنفسه حتى نضج وأنزله وأفرغه فى القصعة وقال للصبية كلوا فأكلوا وشبعوا ثم لاعبهم حتى ضحكوا ولما ناموا رجعَ الى المدينة فسأله زيدٌ عن الملاعبة مع الصبيان فقال جئتهم وهم يبكون فأحببتُ ان أفارقهم وهم يضحكون ولما أصبح رتّب للمرأة وأولادها من بيت المال مايكفيهم

ورُوى عنه أيضًا انّ بعضَ الوُلاة دَخل عليه وهو يُلاعبُ

صبيانه فكلّمه فى ذلك فقال له عُمرُ كيف تفعلُ أنت مع عيالك فقال اذا دخلتُ عليهم سكتوا كلُّهم فقال له عمر مثلك لا يصلح للولاية لأن من لا يرفقُ بأهله لا يرفقُ بالرعيّة وعزله عن عمله

خلافته وأعماله

فى اليوم الذى تُوُفّى فيه أبو بكر رضى الله عنه بُويع لسيدنا عُمرَ بن الخطاب بالخلافة كما أوصى أبو بكر بذلك فقام بالامر أحسنَ قيام وفتح الفتوحات الكبيرة حتى اتّسع نطاقُ الاسلام فى عهده اتّساعا عظيما

وأول ما اهتم به أنه أمر ببقاء الجيش فى أرض الشام لتتميم فتوحاته تحت قيادة امين هذه الامة أبى عُبيدةَ بن الجرّاح وسيدنا خالد بن الوليد والكلمةُ العامّةُ للاوّل وأمدّهما بامدادات أعانتهما على متابعة فتح المدن وغزو الحصون حتى فتحوا غالبَ بلاد الشام ومكثوا فى محاصرة دمشق (١) نحو سبعين يوما حتى أخضعوها ثم ولّى عليها سيدنا معاويةَ فثبتت بها قدمُ المسلمين الى الآن

(١) دمشق مدينة عظيمة وهى عاصمة الشام

ولما امتدّت الفتوحاتُ الى بيت المقدس وحاصره المسلمون مدّة طويلة توجّه سيدُنا عمر بنفسه اليه فصالحه أهلُه على أنْ يُسلّموه بيتَ المقدس وأنْ يؤدّوا الجزية للمسلمين وأنْ يبقوا على دينهم، فكتب لهم سيدُنا عمر عهداً بذلك وسلّمه لعظيمهم فأحلّه محلّ الإعزاز والتبجيل، ولم يزلْ ذلك العهدُ عندهم الى الآنَ تتوارثُه ملوكُهم ويقال انه الآنَ عند قيصر الرُّوم

وأيضا وَالىَ ارسالَ الجُيوش الى بلاد العجَم (الفُرْس) فأرسل جيشا تحت قيادة أبي عُبيدةَ بن مسعود وآخرَ بقيادة سَعْد بن أبي وقّاص ففتحوا غالبَ بلاد العجَم بعدما تحمّلوا في سبيل ذلك أشدَّ المصاعب لأنَّ جيوشَ الاعداء كانوا أكثرَ منهم عَدَدا وقُوّةً واستعدادا ودراية بأساليب الحروب ولكن لصدْقِ نيّاتِ المُسلمين وائتلاف قلوبهم نَصَرَهم الله على الأعداء مِرارا حتى خذَلُوهم في مواطنَ حصينةٍ وشتّتُوا شَمْلهم وقتَلوا قائدهم الاكبرَ وغنموا أموالا كثيرةً وأرسلوها لسيدنا عمرَ فلمّا رأى فيها ذخائرَ كِسْرى (ملك العجم) التي منها التاجُ والمنطقةُ والسِّوارُ والعَلَمُ الاكبرُ والبِساط الذي كان ستين ذِراعا في

مثلها مُرصعًا بالجواهر واللآلئ على ألوان الزهور قال. إن قوما أدّوا هذا لذو أمانة. فقال له سيدنا علي لقد عففت ففعفت الرعية

(فتح مصر)

ولما انتهت فتوحات الشام وغالب بلاد الفرس وصار المسلمون في منعة عظيمة طمحت أنظارهم لفتح مصر فرغب عمرو بن العاص أمير المؤمنين في ذلك وذكر له أنها قوة عظيمة لمملكة الروم فاذا فتحها المسلمون كانت قوة عظيمة لهم، وأنها أكثر الارض أموالا. وألح عليه حتى سيره اليها بجيش كبير افتتح به أولاً مدينة الفرما [1] بعد قتال عنيف مع الروم ثم فتح بلبيس ووجد بها بنت المقوقس [2] فسيرها الى أبيها معززة مكرمة ثم سار الى حصون مدينة منف التي كانت عاصمة البلاد المصرية فوجدها حصينة قوية فمكث يحارب الروم عليها مدة طويلة جاءه في أثنائها مدد من قبل الخليفة مع ابن العوام حتى فتحها وعند ذلك طلب المقوقس الصلح فصالحه سيدنا

(١) الفرما كانت مدينة بمصر محلها بالقرب من السويس الآن
(٢) المقوقس كان رئيسا للأمة القبطية وعاملا للروم على الوجه القبلي

عَمْرٌو على ماصالح عليه الخليفةُ أهلَ بيت المقدس * ثم سار الجيشُ كله الى الاسكندرية التى كانت فى غاية المنعة وبها الحاكمُ العامُّ المُسمَّى أرْطَبُون فظَلَّ مُحَاصِراً لها نحو ١٤ شهراً حتى فتحها قهراً وغنِم مافيها بعد تكبُّد المشاقِّ والأهوال وذلك يوم الجمعة أول المحرم سنة ٢٠ هجرية

ولما أتمَّ عَمْرٌو فتح بلاد مصر ولاَّه سيدُنا عُمَرُ حاكماً عليها فأخذ فى إصلاح شؤُنها ورَفع المظالم المفروضة من الرُّوم على الاهالى وبَنى مدينة الفُسْطاط (مصر القديمة) واتَّخذها مقرّاً لحكومته وشيَّد بها جامعه المشهورَ بجامع عمرٍو وهو أوّل مسجدٍ بُنِي للاسلام بمصر وحفَر خليجاً يُوصِل النيل بالبحر الاحمر وسمّاه خليجَ أميرِ المؤمنين * وبذلك زالتْ دَولةُ الرُّوم عن مصر كما زالت عن الشام

وفاة سيدنا عمر وسبب مقتله

مات رضى الله عنه فى أواخر ذى الحجة سنة ٢٣ هجرية وعمره ٦٣ سنة ومُدة خلافته ١٠ سنين وستة أشهر شهيداً بيد أبى لُؤْلُؤَة عبدِ المُغيرة بن شُعْبَة وهو غلام مَجُوسيٌّ اسمه فَيرُوزُ

كان أرسله المُغيرةُ وهو والٍ على الكُوفةِ الى المدينة لإتقانه الصنائعَ والأعمالَ المفيدةَ للناس وفرَض عليه مائةَ درهم فى الشهر خَرَاجاً فاستثقل ذلك وشكَا الى الخليفة فقال له ما خَرَاجُك بكثير بالنِّسبة لصناعاتك ثم طَلَب منه أن يصنع رَحَى تَدُورُ بالريح فقال سأصنع لك رَحَى يُسمع دَوِيُّها في الآفاق فقال الخليفةُ لقد أوعدنى العبد . ثم تربَّص له هذا الشقىُّ حتَّى دخل المسجد وكبَّر للصلاة وكبَّر الناسُ وراءه فانقضَّ عليه وطعنه بخنجر وطعن معه ثلاثة عشر رجلا مات منهم سبعةٌ ولمَّا قبضوا عليه نحر نفسه * فكان موتُ سيدنا عمرَ بهذه الكيفية أوّلَ مصيبة وأعظمَ خَطْب حلّ بالمسلمين بعد موت الرسول عليه الصلاة والسلام

(تأمل فيما تقدم تعلم الحالة التى كانت عليها جيوش المسلمين وقوادهم من قوة الجأش وعظم الهيبة وصدق العزيمة واتحاد القلوب وشدّة الثبات والصبر على المشاق والخوض فى معامع القتال متفانين فى نصرة الدين واعلاء كلمته لا تأخذهم فى الله لومة لائم تاركين حب الدنيا وراءظهورهم فعاملهم الله بنياتهم ونصرهم نصرا عزيزا . وتعلم ما كان عليه سيدنا عمر من صدق الفراسة وسداد الرأى وقوة العزيمة والبسالة والشهامة والاهتمام بحراسة الدين والعناية بمصالح المسلمين وأحوال الرعية خصوصا الفقراء والمحتاجين)

سيدنا عثمان رضى الله عنه

سيرته وأخلاقه وفضائله

هو أميرُ المؤمنين عُثمانُ بنُ عفَّانَ بن أبى العاص قُرشيٌّ يجتمع مع الرسول فى عبدمناف * نشأ رضى الله عنه محبَّباً فى قومه ذا أخلاق كريمة وسيرة مَرْضيّة قويمة حتى كان يُضْرَب به المَثَلُ فى الحياء والوَقار وشدَّة الصبر على عظائم الامور، ذا رأى سديد وحُجّة قويّة ورَحْمَةٍ بالرَّعيّة ومن ذَوى اليَسار والغِنَى كثيرَ الصَّدَقات عظيمَ البَذْل. وكفاه فَخْراً تجهيزُه جيشَ العُسْرة [1] من خالِص ماله وشِراؤه بِئرَ رُومَة [2] بخمسة وثلاثين ألف

---

(١) يروى أن سيدنا عثمان لما رأى أن الرسول يريد غزو الروم (غزوة تبوك) وليس فى بيت المال ما يفى بتجهيز الجيش تبرع رضى الله عنه بتجهيز غالبه من ماله فجهز ألف بعير وسبعين فرسا وصرف عشرة آلاف دينار فدعا له الرسول وقال (لا يضر عثمان ما عمل بعدها) وتبرع فيها أيضا أبو بكر وعمر بما قدرا عليه (٢) هى بئر بالمدينة كانت لرجل من بنى غفار لا يصلح للشرب غير مائها ولذا كان صاحبها يبيع منها القربة بمد فقال له الرسول بعنيها بعين فى الجنة فأبى لانه لم يكن له غيرها ولم يكن أسلم وقتئذ فاشتراها منه سيدنا عثمان ووقفها على المسلمين

درهم وتسبيلها لله وبناؤه مسجد المدينة بالحجارة مع توسيعه وعتقه في كل جمعة عبداً * كان من السابقين الاوّلينَ ومن أوّل المهاجرين هاجر الهجرتين وصلّى الى القبلتين وشهد الغزواتِ كلّها الاّ غزوة بدر فانه تخلّف عنها باذنِ النبي ليقومَ بتمريض زوجته رُقيّةَ ابنته صلى الله عليه وسلم التي تُوفّيتْ في تلك المدّة ثمّ تزوّج بعدها أختها أمّ كلثوم بنتَه عليه الصلاة والسلام أيضا وتلك منقبةٌ عظيمة لم تُعرَفْ لغيره من الناس قاطبةً ولذا سُمّي بذي النُّورَين رضى الله عنه

خلافته وأعماله فيها

بعد وفاةِ عُمرَ بثلاث ليال اختارت الأمة عثمانَ من بين الستة الذين جعل سيدنا عمر فيهم الخلافة فعُهد اليه بها وسار فيها بالعدل . ومن أعماله أنه ولّى سعيدَ بن العاص الكوفةَ وأمره بفتح بقيّة بلاد العجم ووالاهُ بالامدادات حتى فتحها وشتّت جيوشها وقتل الأحنفُ قائدُ جيش المسلمين ملكها (يزدجر) وبقتله انتهت دولةُ الفرس واستجاب الله دعوة نبيّه حين مزّق كسرى كتابه وهي (اللهم مزّق ملكه كل ممزّق) وبذلك استتبّ

الاسلامُ فى تلك البقاع . ثم سار الجيش وفتح أزمينيّة

ومن أعماله أيضا أنه أمر سيدنا معاوية عاملَه على الشام بإنشاء سفُن قويّة عظيمة لتحمل جيوشَ المسلمين الى ما يريد من الجهات ففعل حتى بواسطتها تمكّنَ من فتح جزائر البحر الابيض المتوسّط كقبرُص وكريد ورُودس وغيرها * ومنها أنه أمر عبد الله بن أبى السّرح الذى وَلاّه على مصر بفتح طرابُلس وإفريقيّة فسيّر اليها جيشاً تحت قيادة ابن العوّام ففتحها وغنم منها أموالا كثيرةً * وبذلك وصلت مملكةُ العرب من جهة الشّرق الى الهند ومن جهة الغرب الى المُحيط الاتلانطيق ومن جهة الشّمال الى البحر الابيض المتوسّط ومن جهة الجَنُوب الى بحر الهندِ والنُّوبة * وباتّصال تلك القُوى ببعضها عظُمتِ الدولةُ ونمتِ الثروةُ وتفذّتِ الكلمةُ وتجسّمتِ الهيبةُ فى قلوب الأعداء

ومن أعماله أيضا أنه رتّبَ السورَ القرآنيّة على هذا النّمط الذى نقرؤه الآن بإجماع من الصحابة والحُفّاظ وجمعَ الصُّحُفَ التى كانت عند حفصة فى مُصحَف واحدٍ وأمرَ بنسخ المصاحف

منه كما سبق بيانُه (في صفحة ٥٩)

﴿وفاته وسبب مقتله رضى الله عنه﴾

بعد أنْ فتح المسلمون تلك الاقاليمَ واطمأنُّوا وكثُرتْ عندهم الخيراتُ والاموالُ اخذوا ينقِمون على الخليفة حيث رأى من الصالح للأمّة عزْلَ بعض الوُلاة فعزَلهم ووَلّى مَنْ فيه الكفاءةُ من أقاربه وذوي رَحِمه فظنَّ الناسُ به ظُنُونا هو بريءٌ منها وفشَتِ الفتنةُ واستفحَل أمرُها حتى حضرتْ وُفُودٌ من الكُوفَة والبَصْرَة ومصر في وقتٍ واحد طالبين تولية غير عثمان أو عزْلَ مَن ولاّهم على الأمصار وأخيراً استقرَّ الحالُ على إجابتهم لما طلبوا من عزل بعض العُمّال * وعلى ذلك اختارَ أهلُ مصر أنْ يُولّى عليهم محمّدُ بن أبي بكر الصدّيق فكتب عثمانُ لهم بذلك عهداً ورحلُوا من المدينة مع واليهم الجديد وبينما هم ذاهبون رأوا عبدا من عبيد الخليفة على راحلةٍ من إبله يستحثها فأوقفوه وفتّشُوه فوجدوا معه كتابا مختوما بخاتم الخليفة لعبد الله بن أبي السرح مضمونُه (اذا قدِم عليك ابن أبي بكر ومن معه فاحتَلْ في قتلهم) فأخذوا الكتاب ورجعوا

الى المدينة وأطلعوا الخليفة عليه فأقسم لهم أنه ما فعل ولا أمر ولا علم فقالوا هذا أشدُّ يؤخذ خاتمك ونجيبٌ من إبلك وعبد من عبيدك وأنت لا تعلم . ما أنت الا مغلوبٌ على أمرك فطلبوا منه الاعتزال أو تسليم الكاتب فأبى فأجمعوا على محاصرته فحاصروه فى داره ومنعوا عنه الزاد والماء أياما عديدة وهاجت الثوّار وكثُر القيلُ والقالُ ، فطلب منه بعضُ الصحابة الاذن بالمدافعة عنه فلم يقبل ولم يأذن لأحد حتى انه قال لعبيده الذين هبُّوا للدفاع عنه (من أغمد منكم سيفه فهو حرٌّ) استسلاما للقضاء فتسلَّق بعضُ الأشرار الدَّار ودخلوا عليه وقتلوه والمصحفُ بين يديه يتلو فيه (عاملهم الله بما يستحقُّون) وكان ذلك فى ذى الحجة سنة ٣٥ هجرية وعُمره ٨٢ سنة ومدة خلافته ثلاث عشرة سنة الا اثنى عشر يوما رضى الله عنه

(مما تقدم تعلم أن الامة الاسلامية فى عهد هذا الخليفة ذى النورين بلغت من درجات المجد أرقاها ومن منابع الثروة أوفاها ولكن النزاع الذى قام قائمه فى ذلك العهد كان سببا لنفاذ المحتوم من قتله رضى الله عنه (كان ذلك فى الكتاب مسطورا) وكأن سيدنا عثمان رأى أن يفدى بنفسه افتراق الامة واختلافها وبذا تعلم شدة صبره وثبات جأشه وطهارة ضميره وكرم أخلاقه وقوة محافظته على شؤن الخلافة وحقوق المسلمين)

﴿أمير المؤمنين على كرم الله وجهه﴾

(سيرته وأخلاقه وفضائله)

هو علىُّ بنُ أبى طالب بنِ عبد المطَّلب جدِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قُرشىٌّ أسلم قبل البلوغ ولازَمَ الرسولَ من صغره فاهتدى بهديه ولم يَسْجُد طولَ حياتِه لغير ربِّه وشهِد المشاهد كلَّها الا غَزْوَةَ تَبُوك (١) لان الرسولَ استخلفه فيها على المدينة * كان محبوبا مُعظَّما عند جميع الناس وفارسا قويًّا وبطلًا مدرَّبا عالما بفنُون الحرْب وأساليبها وله القَدَمُ الثابتة فى جميع الغزَوات * كان فى جميع العلوم من الرَّاسخين ومن الزُّهَّاد والعُبَّاد المخلصين ومن الفُصَحاء والخُطباء المجيدين ومن السابقين الاوّلين وابنَ عمّ الرسول وزَوْجَ ابنته البَتُول وأبا الحسن والحسين * لقد افتدى الرسولَ بنفسه حيثُ نام على فراشه ليلة الهجرة وخلَّفه الرسولُ بمكة مع أهله وأنابَهُ منابَه فى أداء الامانات والوَدائع فأقامَ بها بعد الهجرة أيّاما يُؤدى ذلك ثم أخَذَ آلَ البيت وهاجر * كان أوّلَ المسلمين من الصبيان وأولَ المبارزين يوم بَدْر وأولَ

(١) أرض بين الشام والمدينة وهى الى الشأم أقرب

الثابتين يوم أحدٍ وحنين وأولَ السابقين يوم الفتح وأولَ أهلِ التدبير والسياسة وأوّلَ أهلِ الكرَم والجُود والشفقة والتواضع والحلم وأوّلَ من وضع قواعد النحو للُغة العربية وأعطاها لأبي الاسود الدُّؤَلِيّ وقال انحُ هذا النَّحوَ يا أبا الاسْوَدِ الى غير ذلك مما لا يُحصيه عدٌّ

(خلافته وأعماله)

بعد موت سيدنا عُثمانَ اختلف الناسُ في أمر الخِلافة وتحزّبوا أحزاباً غيرَ أنَّ الحِزْبَ الأقوى كان مع سيدنا علي لتَرَكُّبه من أكابر الانصار والمهاجرين وغالب الصحابة المعتبرين فلما ذهبوا لمُبايعته امتنع وقال لهم (أنا لكم وَزِيراً خيرٌ مني أميراً) فألحّوا عليه حتى قبلها على كُرْه وما تخلّفَ عن مبايعته الا نَفَرٌ قليلٌ منهم مَرْوان وبنو أُميّةَ ولَحِقُوا بالشام عند معاويةَ ومعهم قميصُ سيدنا عثمانَ ليطالبوا بدَمه مع أن سيدَنا عليّاً أخذ يسأل عن عَين قاتله ويَبحث فلم يهتد الى الحقيقة

ومن أعماله أنه بدأ بتغيير بعض الوُلاة خصوصا من كانوا سبباً في الخروج على عثمانَ ثم أخذ يُرَتِّب حكومته على ما يرى

فيه الصالح وهدوّ الخاطر فلم يلبث أن خرج عليه طلحة وابن العوّام ولحقا بعائشة زوج الرسول وحرّضاها على المطالبة بدم عثمان فانضمّ اليهم خلق كثيرون وساروا بنحو ثلاثين ألف مقاتل الى البصرة وحاربوا واليها حتى هزموه وقبضوا عليه فلما علم سيدنا علي بذلك سار اليهم في عشرة آلاف وحاربهم محاربة أسفرت عن هزيمتهم وقتل كثير فيهم طلحة وابن العوّام رضى الله عنهما * وكانت عائشة اذذاك راكبة في هودجها على جمل فسميت هذه الواقعة (واقعة الجمل) وعند انقضاء الحرب قابلها سيدنا علي وأكرمها وردّها معزّزة الى المدينة

ومن أعماله أيضا أنه ترك المدينة واتخذ الكوفة مقرًّا لحكومته وأرسل لمعاوية يدعوه الى الطاعة والدخول فيما دخل الناس فيه ويقطع طمعه في الخلافة فامتنع وقال حتى تقتل قتلة عثمان ويختار المسلمون لهم إماماً وبعد مكاتبات كثيرة بينهما في هذا الشأن دعا سيدنا معاوية نفسه بأمير المؤمنين واستعدّ للمحاربة فلما علم سيدنا علي بذلك أخذ جيشه وسار

لمحاربته بالشام فاجتمع الجيشان في جهة صفّين (واقعة صفين)[1]
وحينئذ طلب سيدُنا عليٌّ من مُعاوية المبايعة والرجوعَ عن
الحرب فأبى وأصرّ كلٌّ منهما على مطلوبه متحقّقاً أنه الصالح للأمّة
فانتشبت الحربُ بينهما بقوّةٍ وشدّةٍ مدّة طويلة حتى ظهرت
السآمةُ والضعفُ في جيش مُعاوية فلما رأى ذلك عزم على الفرار
فأشار عليه عَمرُو بنُ العاص برفع المصاحف على أطراف الرّماح
فرفعوها طالبين العمل بما فيها فقبل سيدُنا عليٌّ ذلك وقرر أى الفريقين
على أن يقيما حكمين منهما لينظرا في الامر فاختار أهلُ الشام
عمرَو بنَ العاص وأهلُ العراق أبا موسى الأشعرى وكتبوا عهداً
بذلك وبأنّ الاجتماعَ يكونُ بدَومَةِ الجَندَلِ[2] يوم كذا ثم رجع
عليٌّ الى الكوفة ومعاويةُ الى الشام وفى الموعد اجتمع الحكمانِ
وكثيرٌ من الناس وتفاوضا في الأمر أيّاما وكلٌّ منهما حريصٌ على
صاحبه الى أن اتّفقا على خلعهما معا وأن يبايع المسلمون
مَن يشاؤُن فقام في الناس أبو موسى الاشعرى خطيبا وقال قد

(١) صفين موضع فى العراق بشاطئ الفرات (٢) هى قرية بين الشام
والمدينة بها حصن مبنى بالجنادل أى الحجارة الكبار ولذا سميت بذلك

اتفقت أنا وصاحبي هذا (عمرو) على أمرٍ نرجو به صلاحَ هذه الأمةِ وهو أن يخلع كلٌّ منّا صاحبَه ثم يختارَ المسلمون خليفةً لهم وها أنا قد خلعتُ علياً ومعاويةَ كما أخلع سيفي هذا وأخرجه من غمدِه ثم قام عَمْرو بن العاص شاهراً سيفه وقال ايها الناس انَّ صاحبي هذا (الاشعري) قد قال ماسمعتم وخلع صاحبه (علياً) وأنا مُصدِّق على خلعه أيضا ولكنّي أثبّت صاحبي (معاوية) كما أثبّتُ سيفي هذا وأدخله في قِرابه ونزل فصاحت الناسُ حَكَم الحكمان بغير مافي كتاب الله * وعلى ذلك انتهى الامرُ وانصرفَ أهلُ الشام مع عمرو يهنئون مُعاويةَ بالخلافة وانصرف أبو موسى ولحق بمكة حياءً من الناس ولكن هذه الحيلةُ لم تكن حاسمةً للأمر بل بقي كلٌّ على ما كان عليه وجرت أمور ليس هذا محل ذكرها

(وفاته وسبب مقتله كرم الله وجهه)

بناءً على ماتقدم صارت الدَّولةُ الاسلاميةُ حزبين متضادَّين غير أن الفتنةَ فشتْ في حزب سيدنا عليّ واستطار شرَرُها مابين خوارجَ عليه وشيعةٍ مُحاربين معه ومقاتلين لأجله

حتى كثُرَ النزاع وانتشر الشقاق واختلفت الناس وتفرقت قلوبهم ولذا لما سأله رضى الله عنه بعضهم بقوله . كيف تختلف الناس عليك ولم تختلف على أبى بكر وعمر . قال إنهما كانا والبين على مثلى وأنا اليومَ والٍ على مثلك . فأخذ سيدنا علىٌّ في اطفاء تلك الفتن ولكن كان كلما أطفأ واحدةً قامت أخرى حتى سئم الحياةَ وصار يستغيثُ بالله ويطلبُ اللحاقَ بمن سبقه فاجتمع بعضُ الخوارج واتفقوا على قتل علىٍّ ومعاويةَ وعمرو بن العاص فتعهد بقتل الإمام عبدُ الرحمن بن مُلجم . وبقتل معاوية البرك ابنُ عبدالله التميمى وبقتل عمرو عُمَرُ بنُ بكرٍ التميمى وصمموا على تنفيذ ذلك كله في فجر الجمعة ١٧ من شهر رمضان سنة ٤٠ فأما البرك فذهبَ الى معاوية وانتظره حتى ضربه فى صلاة الصبح ضربةً لم تمته وأمر به معاويةُ فقتل * وأما عمر بن بكر فذهب الى عمرو بن العاص بمصر فلم يخرج تلك الليلة لعذرٍ وأناب عنه رجلا يُدعى خارجةَ بن حبيب فقتله الخارجىُّ زاعماً أنه عمرو ابن العاص فقبض عليه وقتل وعلى ذلك جاء المثلُ المشهورُ (أراد عمراً وأراد اللهُ خارجةَ) * وأما ابنُ ملجم فانه أتى

الكوفة وانتظر علياً حتى سمعه ينادى للصلاة فضربه بسيفه قائلا الحكم لله لا لك يا علىُّ ولا لأصحابك فقال سيدنا علىٌّ قتلنى الرَّجل لا يفوتنَّكم فلما قبضوا عليه قال أمير المؤمنين (النَّفسُ بالنَّفس ان هلكتُ فاقتلوه ولا تمثِّلوا به وإنْ بَقيت رأيت فيه رأيي) ثم قتلوا الرجل بعد موت أمير المؤمنين. وكان عمره اذ ذاك ٦٣ سنة ومدة خلافته خمس سنين الا ثلاثة أشهر

(مما ذكر فى سيرة هؤلاء الخلفاء الراشدين تعلم أن مدتهم كانت مدة فتح وهناء وأنهم قاسوا أشد العناء فى اعلاء كلمة الله واقامة دينه القويم ولولا قيامهم بذلك لتشتتت حال المسلمين وضاع الدين . وتعلم أيضا أن قلوب الناس كانت نقية خالصة ونياتهم صادقة وسيرهم مرضية وما حصل فى المدة الاخيرة من الفتن والحروب الداخلية لم يكن الا باجتهاد وأدلة حتى ان كل واحد كان يرى أن الاصلح للأمة تولية فلان وعزل فلان وفعل كذا وترك كذا فالكل مأجور غير مأزور كما يشير الى ذلك الحديث (الله الله فى أصحابى) . وتعلم أيضا أنهم أسسوا الدين على أقوى أساس وحصنوه أشد تحصين فجزاهم الله عن الاسلام خير الجزاء وجزاء الخير انه قريب مجيب)

﴿شذرات من كلام الخلفاء الراشدين كلها حكم ونصائح﴾

﴿من كلام سيدنا أبي بكر الصدّيق في الوعظ﴾

عبادَ الله اعلموا أنَّ الله قد ارتهنَ بحقّه أنفسكم وأخذ على ذلك موَاثيقكم وعوَّضكم بالقليل الفاني الكثيرَ الباقيَ وهذا كتابُ الله فيكم لا تفنى عجائبُه ولا يُطفأُ نورُه فثقوا بقوله وانتصحُوا بكتابه واستبصروا فيه ليوم الظُّلمةِ فانه خلقكم لعبادته ووكَّلَ بكم الكرام الكاتبين يعلمُون ما تفعلون

﴿وقال يوصي بعض رؤساء الجُند﴾

عليك بتقوَى الله في السر والعلانيَة فانه يرَى من باطنك مثلَ الذي يرى من ظاهرك واذا قدمتَ على جُندك فأحسنْ صُحبتَهم وابدأهم بالخير وعدهم إياه واذا وعظتهم فأوجزْ فانَّ الكلامَ ينُسي بعضُه بعضاً وأصلحْ نفسكَ يصلُحْ لك الناس واذا استُشرتَ فاصدُقِ الحديثَ تصدُقْ لك المشورةُ وجالسْ أهلَ الصِّدقِ والوفاء

﴿ومن كلام سيدنا عمر ينصح ابنه﴾

يا بُنيَّ إنَّ مَنِ اتَّقى اللهَ وَقاهُ ومَنْ توَكَّلَ عليه كفاه ومَن شكَرَ

له زادَه ومن أقرضه جزاه، فاجعلِ التقوى عِمادَ قلبك وجلاءَ بَصَرِك فانه لا عملَ لمن لا نيةَ له، ولا أجرَ لمن لا حسنةَ له، ولا جديدَ لمن لا خلَقَ له

وقال يحث الناسَ على السعي

لا يقعدْ أحدُكم عن طلَبِ الرزق ويقولُ اللهمَّ ارزُقْني وقد علم أنَّ السماءَ لا تمطرُ ذهباً ولا فضةً والله تعالى إنما يرزُقُ الناسَ بعضهم من بعضٍ وقد قال (فاذا قُضِيَتِ الصلاةُ فانتشِروا في الأرضِ وابتغوا من فضلِ الله واذكروا الله كثيراً لعلَّكم تُفلحون) (ومن حكمه) قوله مَنْ كتَمَ سِرَّهُ كان الخيارُ في يده. أعقلُ الناس أعذرُهم للناس. أشقى الوُلاةِ مَنْ شقِيَتْ به رَعِيَّتُه. من لا يعرِفُ الشرَّ كان أجدرَ أن يقَعَ فيه

﴿ومن كلام سيدنا عثمان في قصيدة يتصبَّر بها على بلواه﴾

خَليليَّ لا والله ما من مُلِمَّةٍ * تدُومُ على حَيٍّ وانْ هِيَ جلَّتِ

فانْ نزلَتْ يوماً فلا تخضعَنْ لها

ولا تُكثِرِ الشكوَى اذا النعلُ زلَّتِ

فكَمْ من كريمٍ قد بُلِي بنوائبٍ

فصابرَها حتّى مَضتْ واضمحلّتِ

وكم غمرةٍ هاجتْ بأمواجِ غمرةٍ

تلقّيتُها بالصّبرِ حتى تجلّتِ

وكانت على الأيّامِ نفسي عزيزةً

فلمّا رأتْ صبري على الذلّ ذلّتِ

فقلتُ لها يا نفسُ موتي كريمةً

فقد كانتِ الدّنيا لنا ثم ولّتِ

﴿ومن كلام سيدنا علي كرم الله وجهه ينصح ولده﴾

يا بُنيَّ سَلْ عن الرّفيق قبلَ الطّريق وعن الجار قبل الدار. وأكرِمْ عشيرتَك فانهم جناحُك الذي به تَطيرُ ويدُك التي بها تصولُ ولسانُك الذي به تقول، ولا يكن أهلك أشقى الخلق بك ولا تكوننّ على الإساءة أقوى منك على الاحسان * يا بُنيَّ اجعل نفسَك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك فأحبَّ لغيرك ما تحبُّ لنفسك وأحسِنْ كما تحبُّ أن يُحسَنَ إليك وارْضَ للناس ما ترْضاهُ منهم لنفسك ولا تقل ما لا تحبُّ أن يقال لك وجدَّ في الحصول على معاشك وإيّاك والاتكالَ على المنى فانها بضائعُ الموتى

(ومن كلامه ينصح بعض عماله) دَعِ الاسراف مقتصدا واذكرْ في اليوم غداً وأمسكْ من المال بقدر ضرورتك وقدِّم الفضلَ ليوم حاجتك. أترجو أن يُعطيك اللهُ أجرَ المتواضعين وأنت عنده من المتكبرين أو تطمعُ وأنت متمرِّغٌ في نعيم تمنعه الضعيف والارملة أن يوجبَ لك ثوابَ المتصدّقين. وانما المرءُ مجزيٌّ بما أسلفَ وقادمٌ على ماقدَّم

(ومن حكمه) كرم الله وجهه ليس شيءٌ أحسنَ من عقلٍ زانه علمٌ ومن علم زانه حلم ومن حلم زانه صِدقٌ ومن صِدقٍ زانه رِفقٌ ومن رفقٍ زانه تقوى انَّ مِلاكَ العقل ومكارمِ الأخلاق صَوْنُ العِرض وأداءُ الفرض والوفاءُ بالعهد والانجازُ بالوعد. الى غير ذلك مما لا يدخل تحت عدّ

﴿خاتمة﴾

(في نبذة من أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [1]

انما الاعمالُ بالنيّات وإنما لكلّ امرئٍ مانوى (قصد) (خ)

(١) قدرمزنا في آخر كل حديث لراويه بحرف من اسمه (خ) البخاري (م) مسلم (أ) أحمد (ه) البيهقي (ت) الترمذي (ط) الطبراني (ج) ابن ماجه (د) أبوداود (ح) الحاكم (ل) الديلمي

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يؤمنُ أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ اليه من وَلَدِه ووالده والناس أجمعين (م)

وقال . لا إيمانَ لمن لا أمانةَ له ولا دِينَ لمن لا عهدَ له (أ)
(أى لا يكمل الايمان الا بعدم الخيانة ولا يتم الدين الا بوفاء العهد)

وقال . اذا لم تستحِ فاصنع ماشئتَ (خ)

وقال . من أبطأ به عمله لم يُسرع به نسبُه (م)
(أى لا ينفع الانسان شرفه من جهة أبويه اذا كان مقصرا فى عمله)

وقال . اغدُ عالماً أو متعلماً أو مُستمعاً أو مُحباً ولا تكنِ الخامسةَ فتهلكَ (ه)
(أى صر واحدا ممن اتصفوا بهذه الاوصاف الاربعة ولا تكن غيرذلك فيحل بك الهلاك والخسران)

وقال . العلمُ خليلُ المؤمن والعقلُ دليلهُ والعملُ قيمُهُ والحلمُ وزيرهُ والصبرُ أميرُ جنودِه والرفقُ والدُه واللين أخوه (م)
(الخليل الرفيق النافعة صحبته والدليل القائد والقيم المتولى للامور والوزير المعين والامير الرئيس لتلك الجنود التى هى العلم والعقل والعمل والحلم والرفق واللين فالصبر أميرها كلها)

وقال . لا يؤمنُ أحدُكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه (م)
(أى من الامور النافعة خصوصا فى الآخرة)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

خيرُكم خيرُكم لأهلِه وأنا خيرُكم لِأهلي (ط ت)

(أى أحسنكم من كان فيه بر ومعروف لأقاربه وزوجته)

وقال . ارحَمْ مَنْ في الأرض يَرْحَمْكَ مَنْ فى السماء (ط)

(أى ارحم جميع ماخلق الله عـلى الارض يرحمـك الذى سلطانه وعظمته فى السماء)

وقال . اتَّقِ اللهَ حيثما كُنْتَ وأتبِـعِ السيِّئةَ الحَسَنَةَ تَمْحُها وخالِقِ الناسَ بخُلُقٍ حسَنٍ (ج)

(أى عليك بتقوى الله واذا فعلت ذنبا فتب واستغفر أو تصدق فانه يزول وعامل الناس بالحلم)

وقال . مَنْ سرَّه أن يُمَدَّ لَهُ في عُمُرِه وأنْ يُوَسَّعَ له فى رِزْقِه فلْيَتَّقِ اللهَ ولْيَصِلْ رَحِمَه (أ)

(أى من أحب أن عمره يطول وأن رزقه يتسع فعليه بالتقوى وصـلة الاقارب أى زيارتهم والاحسان اليهم)

وقال . الاقتصادُ فى النَّفقةِ نصفُ المَعِيشَةِ والتَّوَدُّد الى الناس نصفُ العقلِ وحسنُ السؤالِ نصفُ العِلْمِ (ه)

(أى ان الاقتصاد وهو التوسط فى الانفاق عليه نصف المعاش)

وقال . لاتَحْقِرَنَّ من المَعْرُوفِ شيئاً ولَوْ أنْ تلقَى أخاكَ بوجهٍ طَلْقٍ (م)

(أى لاتحتقر شيئا من المعروف ولو البشاشة عند اللقاء)

وقال عليه الصلاة والسلام

المؤمنُ مرآة المؤمن والمؤمنُ أخو المؤمن يكُفُّ عليه ضَيْعَتَه ويحُوطُه من ورائه (د)

(الضيعة ما يتعيش منه الانسان كالصنعة والتجارة والزراعة فينبغى للمؤمن أن يساعد أخاه فى ذلك ويحفظه)

وقال. خَصْلتان لا يجتمعان في مؤمن البخلُ وسوء الخُلُق (ت)

وقال. مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُحْسِنْ الى جاره. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكْرِم ضَيْفه. ومن كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر فليقُلْ خيراً أو ليسكُتْ (خ-م)

وقال. اذا وَعد أحدُكم فلا يُخلِفْ (أى بل يوفى بوعده) (ل)

وقال. لا تُظهِرِ الشَّماتَةَ بأخيكَ فيُعافيهِ اللهُ ويَبْتليكَ (ت)

(أى لا تفرح فى مصيبة نزلت بأخيك فان الله قادر على أن يعافيه منها ويصيبك بها)

وقال. مثَلُ الجليسِ الصالحِ والجليسِ السُّوءِ كَمَثَلِ صاحب المسك وكير الحدَّاد (م)

(الكير الزق الذى ينفخ به على النار يعنى ان المرء بمجالسته للصالح يستفيد خيرا ولغيره يكتسب شرا)

وقال عليه الصلاة والسلام

ليس منّا من لم يُوَقِّرْ كبيرَنا ويَرْحمْ صغيرَنا ويَعْرِفْ لعالِمِنا حقَّه (التوقير التعظيم) (ت)

وقال دَعُوا الناسَ يُصيبُ بعضُهم من بَعْض فاذا استَنْصَحَ أحدُكم أخاه فلْيَنْصَحْه (ط)

(أى اتركوا الناس يسترزقون من بعض واذا طلب أحد من أخيه نصيحة فلا يغشه)

وقال . لا يدخلُ الجنَّةَ مَن فى قلبِه مثقالُ حبَّةٍ من كِبْرٍ (أى جزء صغير من الكبر والعظمة) (م)

وقال . إيّاكُم والحسدَ فانَّ الحسدَ يأكُلُ الحسناتِ كما تأكُل النّارُ الحطَب (د)

(أى احذروا الحسد فانه يضيع العمل الطيب)

وقال . إنّ اللهَ يُحِبُّ أن يَرَى أثَرَ نِعْمَتِه على عَبْده (أى علامة النعمة) (ت)

وقال . اذا ماتَ ابنُ آدمَ انقطَعَ عملُه الاَّ مِن ثلاثٍ صَدَقة جارية أو علمٍ يُنْتَفَعُ به أو وَلد صالحٍ يَدْعُو له (الصدقة الجارية الحسنة الدائمة كالوقف) (م)

وقال عليه الصلاة والسلام

إنَّ اللهَ يُحبُّ اذا عَمِلَ أحدُكم العَمَلَ أنْ يُتْقِنَه (أى يُحكم صنعه) (ت)

وقال . خَيْرُ العمل ماتقعَ (ط)

وقال . كَثْرَةُ الضَّحِكِ تُميتُ القلبَ (أى فلا يتأثر بالمواعظ) (ل)

وقال . ان الرِّفقَ ما كان فى شىء الا زانَهُ ولا نُزِعَ من شىء الأَشانَه (م)

(زانه حسنه وشانه قبحه)

وقال . الدَّالُّ على الخير كفاعله واللهُ يحب إغاثةَ اللَّهْفانِ (ط)

(أى الهادى لطريق الخير ينال ثوابا مثل فاعل الخير والله يحب نصرة المتضايق)

وقال . اسمعُوا وأطيعُوا وإنِ استُعْمِلَ عليكم عَبْدٌ حبَشِيٌّ كأنَّ رَأْسَهُ زَبيبةٌ (خ)

(أى امتثلوا أمرحاكمكم ولوكان عبدا أسود)

وقال . لايَشكُرُ اللهَ مَنْ لايَشكُرُ الناسَ (أ)

وقال . مَن لايَرْحَمْ لايُرْحَم (خ)

وقال عليه الصلاة والسلام

خيرُ الناسِ مَن طال عُمُرُه وَحسُنَ عَمَلُه (ت)

(أى ان أفضل الناس من طال عمره فى طاعة الله)

وقال . خيرُكم مَنْ تعلَّم القرآنَ وعلَّمَه (خ)

(أى ان خير الناس من حفظ القرآن وعرف معناه وعلمه غيره)

وقال . إن لله أهلين مِنَ الناسِ قالوا مَنْ هُمْ قال هُمْ أهلُ القرآن أهلُ الله وخاصَّتُه

(أى الحافظون للقرآن العاملون بما فيه هم فى رعاية الله وحفظه)

وقال . ان الدينَ النصيحةُ قالوا لمنْ يارسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله وأئمة المسلمين وعامتهم (م)

(النصح الاخلاص فى المعاملة مع الله ورسوله وولاة الامور والناس عموما)

وقال . أُعطيتُ خمساً لم يُعطَهُنَّ أحدٌ من الانبياء قبلى . نُصِرتُ[1] بالرُّعبِ (الخوف) مسيرةَ شهر . وجُعلَتْ لى الارضُ مسجداً[2] وطَهُوراً[3] فأيُّما رجل من أمتى أدركَتْه الصلاةُ فليُصلِّ وأُعطيتُ الشفاعةَ[4] وكان النبيُّ يُبعَثُ الى قومه خاصةً

وبُعِثْتُ الى الناسِ عامةً (٥) (خ م)

(أى ان الله جمع هذه الخصائص الخمسة لسيدنا محمدا كراما لمقامه وتعظيما)

وقال . انما بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مكارِمَ الأخلاقِ (خ)

(أى ان الله بعث سيدنا محمدا لا ليبطل ما جاء به النبيون قبله من المكارم بل جاء مؤيدا لها وزائدا عليها حتى تبلغ التمام صلى الله عليهم وسلم)

وبالجملة والتفصيل فهو صلى الله عليه وسلم الجامع لكل خلق جميل وخُلُق عظيم (وانك لَعَلَى خُلُقٍ عظيمٍ) * وهو أفضل العالمين * وسيد المرسلين وخاتمُ النبيين * صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وجميع التابعين * اللهم وفقنا للعمل بسنته * وأمتنا على ملته * واحشرنا في زمرته * واغفر لنا ولوالدينا ولجميع أمته * ولا تكلنا الى أنفسنا طرفة عين واجعل خير أعمالنا خواتيمها آمين

(تقاريظ بعض الأفاضل)

قد اطلع على هذه الرسالة جهابذة فضلاء فأجازوها وقرظوها. فمنهم حضرة العالم النحرير الشيخ حسين والى المدرس بالازهر الشريف ومدرسة القضاء * قال مؤرخا الطبعة الاولى

صدرت عنك الخلاصة مولى
بالتقى والفضل نذرى اختصاصه
تنفع الاسلام طبعاً فأرخ * حى الدين بتلك الخلاصه

سنة ١٣٢٢ هـ ١٨ ٩٥ ٤٥٢ ٧٥٧

ومنهم حضرة الفاضل الشيخ ابراهيم راضى المدرس بالمدارس قال مؤرخا طبعتها الثانية بقصيدة طويلة منها قوله

من سيرة طه المختار اشراق شموس الأنوار
تاريخ رسول الله به تنوير عقول الأخيار
وخلاصتها العظمى جمعت ما كان صحيح الأخبار
وجمال الطبع به ابتسمت فبدت دُرَراً للأنظار
وقبول الله يؤرخها طُبعت سيرٌ للبشارى

سنة ١٣٢٤ هـ ٤٨١ ٢٧٠ ٥٧٣

وقال سعادة المفضال حفنى بك ناصف رئيس محكمة طنطا الاهلية الآن حين اهدائه نسخة من الطبعة الثانية

حضرة أخى الفاضل الشيخ عطيه البشارى

وصلتنى رسالتك السنية . على فترة من الرسائل السنية . فمررت على مافيها من الابواب . مر السحاب . ولم أكد آتى على آخرها . حتى حدانى شوق الى أولها . فأعدت قراءتها بامعان . وطالعت أبوابها باتقان . ولم آل جهدا فى مراجعة أكثر مباحثها فى كتب السير وصحاح كتب الحديث فظهر لى بعد ذلك أنها خلاصة وافية . نقية من الشوائب صافية . سليمة من ذكر الخلاف . والاحاديث الضعاف . فلا جرم أن كانت زبدة السير . وخلاصة الاثر . يقف منها المطالع على السيرة المحمدية . ولا يسع مسلما أن يجهل مافيها من الآثار النبوية . فغبطتك على هذا التوفيق . وهدايتك الى أقوم الطريق . فشكر الله عنى وعن أبنائى وتلاميذ المدارس الاميرية . وعامة النابتة الاسلامية . والسلام

كتبه حفنى ناصف

وكتب سعادة الهمام محمد بك صالح رئيس محكمة الاسكندريه فى ٢٦ يناير سنة ١٩٠٨ مانصه — حضرة الاستاذ الأجل الشيخ عطيه محمد البشارى تشرفت بورود هديتك الغراء ورسالتك الفيحاء وقد أجلت شكرى على اهدائها ليكون مصحوبا بحكمى فى موضوعها . أما الآن وقد أتممت قراءتها وأعجبنى منها جزالة اللفظ مع حسن الايجاز الى درجة الاعجاز وصحة الاستدلال مع قوة الاستنتاج وتبين لى أنها من انفس ماالف فى هذا الموضوع فانى اقدم لكم اجزل شكرى واطيب ثنائى واسأل الله ان يديم لكم التوفيق لما فيه الخير والنجاح ولا زلت لصديقك

محمد صالح

﴿ فهرست ﴾

صحيفه

٢ خطبة الكتاب
٤ مقدمة فى معنى الاسلام
٥ أسماؤه عليه الصلاة والسلام — نسبه من جهة أبيه وأمه
٦ حمله ووفاة أبيه ومحل ولادته
٧ رضاعه وفطامه ومرضعاته
٧ حضانته وكفالته ووفاة أمه وجده
٩ رحلته الأولى الى الشام وحضوره حرب الفجار
٩ رحلته الثانيه الى الشام وزواجه بخديجة
١٠ أمانته وفطانته واحترام قومه له قبل بعثته
١١ حالة معيشته قبل النبوة
١٢ كيفية الرسالة
١٤ أول المؤمنين به ودعوته للناس سرائم جهرا
١٥ تحمله ايذاء قومه وحماية عمه له — الهجرة الى الحبشة
١٦ وفاة أبى طالب والسيدة خديجة وخروجه الى الطائف
١٨ الاسراء والمعراج وفرض الصلوات الخمس
١٩ عرضه نفسه على القبائل فى المواسم وبيعتا العقبة
٢٠ الهجرة الى المدينة المنورة
٢١ كيفية الخروج من مكة وما جرى فيه
٢٢ الوصول الى المدينة المنورة

صحيفه
٢٤ المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين — مبدأ التاريخ الاسلامى
٢٥ الجهاد فى سبيل الله
٢٦ الغزوات — غزوة بدر الكبرى
٢٩ غزوة أحد
٣١ غزوة الخندق
٣٤ غزوة الحديبية
٣٥ غزوة الفتح
٣٨ غزوة حنين
٣٩ حجة الوداع
٤٠ الوفود ومعاملته لهم — وفد عدى بن حاتم الطائى
٤٢ وفد قبيلة ثقيف
٤٣ وفد عبد القيس — وفد ثعلبة
٤٤ وفاته عليه الصلاة والسلام
٤٥ شمائله وصفاته
٤٩ معجزاته ومعجزات بعض الانبياء
٥٢ زوجاته وسراريه
٥٢ أولاده عليه الصلاة والسلام
٥٣ اخوته من الرضاع
٥٣ اخواله وخالاته وجداته وأعمامه وعماته
٥٤ خلفاؤه عليه الصلاة والسلام

صحيفه

٥٥ سيدنا أبو بكر الصديق — سيرته وأخلاقه وفضائله
٥٦ خلافته وأعماله
٥٩ فصل فى جمع القرآن وترتيبه وكيفية نزوله
٦٠ وفاته رضى الله عنه
٦١ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب — سيرته وأخلاقه وفضائله
٦٤ خلافته وأعماله — فتح دمشق وبيت المقدس
٦٦ فتح مصر
٦٧ وفاة سيدنا عمر وسبب مقتله
٦٩ سيدنا عثمان رضى الله عنه — سيرته وأخلاقه وفضائله
٧٠ خلافته وأعماله فيها
٧٢ وفاته وسبب مقتله رضى الله عنه
٧٤ أمير المؤمنين على كرم الله وجهه — سيرته وأخلاقه وفضائله
٧٥ خلافته وأعماله
٧٨ وفاته وسبب مقتله كرم الله وجهه
٨١ شذرات من كلام الخلفاء الاربعة
٨١ من كلام أبى بكر الصديق
٨١ من كلام سيدنا عمر بن الخطاب
٨٢ من كلام سيدنا عثمان بن عفان
٨٣ من كلام سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه
٨٤ خاتمة فى نبذة من أحاديث سيد الانام عليه الصلاة والسلام

﴿ تمت ﴾

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU59576618
ME06675
Khulasat al-siyar al
RECAP